

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُسْتَلَبُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر هجري
سقطها عشرة أعداد

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

صاحب الإصدار

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون: ٢٤٤٥٥

يونيه سنة ١٩٥٤

شوال سنة ١٣٧٣

حقائق ثلاث



أذكر حين كانت « محطة إذاعة » كراتشي تفسح من صدرها لأتحدث عن الإسلام أني تلقيت رسالة من فتاة فاضلة في الأرجنتين تقول فيها: « إلى مواظبة على الاستماع إلى أحاديثك كمواظبتي على الاستماع إلى الأحاديث الدينية من المحطات العربية التي تصل موجاتها إلينا ، ولكنني لاحظت من نفسي مع أحاديثك معنى أردت أن أصارحك به ذلك أني أحس بعد كل حديث منها بأن في عنق أمانة ، وبأنني مسئولة أن أعمل ، وبأنني شعور منهض إلى العمل ، ولكنني لا أتبين الطريق . . . أرجو ألا تظن بي الظنون فأنا والحمد لله مستقيمة في خاصة نفسي ، ولكنني أصبحت أشعر أن ذلك لا يكفي ، وشعوري يزداد كل يوم ، وهاأنذى أكتب إليك لتبين لي ماذا تريد من وراء أحاديثك ، وأعدك أن أضع ما تقوله موضع التنفيذ . . . في حدود قدرتي طبعاً كفتاة من أصل عربي ، تعيش في أرض غريبة . . . »

وأذكر كذلك أني تلقيت دعوة مفاجئة من السيد « دين محمد » وكان إذ ذاك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُسْتَلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عمرة أعدادصاحب الارتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٥٥٠

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

يونيه سنة ١٩٥٤

شوال سنة ١٣٧٣

حَقَائِقُ ثَلَاثَ

أذكر حين كانت « محطة إذاعة » كراتشي تفسح من صدرها لأتحدث عن الإسلام أني تلقيت رسالة من فتاة فاضلة في الأرجنتين تقول فيها : « إني مواظبة على الاستماع إلى أحاديثك كمواظبتي على الاستماع إلى الأحاديث الدينية من المحطات العربية التي تصل موجاتها إلينا ، ولكنني لاحظت من نفسي مع أحاديثك معنى أردت أن أصارحك به ذلك أني أحسّ بعد كل حديث منها بأن في عنق أمانة ، وبأنني مسئولة أن أعمل ، وبملائي شعور منهض إلى العمل ، ولكنني لا أتبين الطريق . . . أرجو ألا تظن بي الظنون فأنا والحمد لله مستقيمة في خاصة نفسي ، ولكنني أصبحت أشعر أن ذلك لا يكفي ، وشعوري يزداد كل يوم ، وهاأنذى أكتب إليك لتبين لي ماذا تريد من وراء أحاديثك ، وأعدك أن أضع ما تقوله موضع التنفيذ . . . في حدود قدرتي طبعاً كفتاة من أصل عربي ، تعيش في أرض غريبة . . . »

وأذكر كذلك أني تلقيت دعوة مفاجئة من السيد « دين محمد » وكان إذ ذاك

حاكم السند ، فلما اجتمعت به رأيت إلى جانبه رسالة كتبت بالإنجليزية
عنوانها : « ما أنت ؟ » ^(١) وقال لي : هذه الرسالة هي التي جعلتني أدعوك ، فإني شعرت
بعد قراءتها أنك تهدف إلى أكثر مما قلته فيها ، فأردت أن أعرف منك ماذا تريد ،
وأرجو أن تنسى أنني « حاكم » فإن الذي يربطني بالإسلام أوثق من الذي يربطني
بكرسي الحكم !

هاتان الحادستان على بساطتهما أثرتا في نفسي ، وجعلتاني أتأمل طويلا معالم
التأثير الممكن للكلام والكتابة في جوين مختلفين تماما من حيث الشخص والبيئة ،
وإن لم يختلف فيهما القصد والغاية ! حقائق ثلاث تبدت لي واضحة من خلال هاتين
الحادتين البسيطتين :

أولاهما : أن للنفس عدوى تقابل ما يعرف الناس من عدوى الداء في عالم الحس ،
وإن كانت عدوى النفس لا تراها العين ، ولا تقع جرائمها تحت أجهزة المادة . . .
إنها عدوى تكمن جراثيمها في حقيقة الإنسان من وراء قلبه ولسانه ، وقد تسرى
في كلمة لا يعنينا ، أو في حركة عارضة يأتيها ، أو في سمته العام الذي لا يملك منه مهربا
مهما زوق كلامه ومهما تكلف في مظهره ؛ والناس محكومون بأنفسهم رضوا
أو كرهوا ، وطوايا أنفسهم أقوى دائما من كل مظهر يتخذونه ؛ وكما ترسل الشمس
أشعتها فتعُرف بها ويُستدل بظلال الأشياء على جهتها ، كذلك تفرض النفس
حقائقها فتبدو سافرة حيناً ويُستدل عليها بظل صاحبها حيناً آخر وإنك حين
تتأمل القرآن كله تجده يرد إلى حقيقة هذه النفس مظاهر الأخلاق جميعا ، واقرأ
— مثلا — قول الله سبحانه « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية .
كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم : تشابهت قلوبهم » أي تشابهت قلوبهم فتشابه
قولهم وتشابهت جريمتهم . وفي ذلك يقول ابن عطاء : « كل كلام يخرج وعليه كسوة
القلب الذي منه برز » .

(١) لا تزال هذه الرسالة تنشر في القسم الإنجليزي من « المسلمون » مسلسلة من أول
السنة الثالثة .

ومن هنا يبدو وجه المسئولية الرهيبة التي يتحملها الدعاة إلى الإسلام ، فإنهم أمناء أولاً على أنفسهم ، مسئولون أولاً أن يحكموها بما يدعون الناس إليه قبل أن يدعواهم ، وأن يذكروا أن القوانين التي تحكم حركات النفوس قوانين قاسرة لا يبطئها زخرف القول ولا براعة الأسلوب ، وعليهم دائماً وهم يخاطبون أنفسهم الناس أن يرقبوا الناحية التي يدخل منها على النفس ! إنها الناحية التي يصدر منها ما يقولون وما يكتبون فليتقوا الله في هذه الناحية ، وليعلموا أن صدقها بزرع الصدق ، وأن كذبها لا يصنع إلا الأثر الكاذب ، وأن من وراء ما يقولون ويكتبون عين الله التي ترقب حركات النفوس ، والتي لا تبالي بالكلمة إلا بمقدار ما تصدق في صاحبها . وهي حين تصدر صادقة فقد أصبحت وديعة في يد الله الذي دعا إلى الصدق : وهو وحده الذي يهdy بها من يشاء ، ولا سلطان لغيره على قلوب الناس « إن علينا للهدى » . أما حين تصدر كاذبة فقد انقطع طريقها إلى الله ، وبقيت بكذبها حجة على صاحبها وحده دون سواه .

والحقيقة الثانية هي أن المسلمين على اختلاف أشخاصهم ومنازلهم ، وعلى اختلاف بيئاتهم التي يعيشون فيها ، ينطوون على استعداد هائل للبحث والنهوض ، ولكنهم يحتاجون فقط إلى الروح الباعث المنهض ، وإلى الدعوة الحية التي تبحث عنهم حيث كانوا ، وتلح عليهم بالتذكير بالله ونبيه وكتابه ، وبمسئوليتهم بين يديه ، وتعرض عليهم صفحة الماضي الناصع الذي نسوه ، والحاضر المرير الذي هم فيه ، وتدأب على ذلك دأب الداعية الأول صلى الله عليه وسلم ، وتصبح كما صبر .

هذه الدعوة تحتاج في طبيعتها إلى أمرين لا بد منهما : إلى « ربانية » تحكم أسلوب الخطاب والعمل ، وإلى « الروح الباعث » الذي يبقى مشتملاً في كل معنى تعرض له ، وفي كل قضية تشتغل بها ، وفي كل مجال تدخله .

ولست أعنى بالربانية دروشة الطقوس التي قتلت المسلمين ، ولكني أعنى بها دعوة الله في كتابه : « ولكن كونوا ربانيين » والربانية في دعوة الكتاب هي

البدهية الأولى في هذا الدين ، وهي الواحد الصحيح في علم الحساب عند المسلمين ، فإن شعور الإنسان بالله هو رأس النبع لكل الفضائل والخير ، فضلاً عن أنه واجبه الأول نحو خالقه ومُحييه ، وغفلته عنه هي العمى الذي لا يُفنيه بعده بصره ولا علمه ولا قوى الأرض مجتمعة . . . أرايت إلى رجل يجهل الواحد الصحيح ، كيف يسوغ لثله أن يدعى العلم بالحساب والجبر واللوغاريتمات وما بُنى عليها ؛ أرايت لو أنه بدأ من الواحد فَمَعْلَمُهُ ، ثم انتقل منه إلى ما يأتي بعده ، ثم أسس مسألة على مسألة ، ومعادلة على معادلة ، وبقي في كل ذلك على أصل ثابت وميزان واضح ، أما كان ذلك يضمن له أن ينتظم حسابه ولا يضل طريقه ؟! ربما قال قائل لقد أبعدت يا هذا في المثل ، فإن «الواحد» بدهية لا تحتاج إلى علم ، والذي يجهلها مجنون لا يصلح لعلم ؛ وذلك قول حق لا أنكره ، فكيف يُنكر على الداعي إلى الله أنه هو الداعي إلى الأساس الصحيح في فهم الحياة ، وكيف يُنتظر من «مجنون» جُنَّ عن هذا الأساس أن يصلح للحياة على أرض الله !! إن الهدى والكرامة في مثل قول الله « ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم » لا يقابلهما إلا الضلال والمهانة في قول الله « فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم »

ما أكثر ما تبدو الحسبة صحيحة في أرقامها ثم تسفر نتيجتها عن خطأ يتن يعود له المحاسب إلى أوليات حسبته يصححها . . . وما أشبه ذلك يقوم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ثم تكون النار مثوًى لهم ، ثم يقال لأحدهم من بعد « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » !!

إن التأسيس على هذه الربانية هو خطة الأنبياء ، وهو أساس لا يُحتمل له بالجدل ولا بالمنطق لأنه البدهية الأولى للحياة ؛ وإنما يعالج بمخاطبة النفوس بما خاطبها به الله ، وبغذية مشاعرها بالزاد المبارك من آياته ، وبترويض قواها على الإذعان لأمره « وترودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب »

ويجب أن تظل هذه الربانية مصدر مشاعر الإنسان كلها وميزانها : يجب بها ويكره بها ويغضب بها ويثور بها ، وإنك انتقراً الآيات المكّية كلها فتجد القرآن الذي

استأصل الظلم لم يُثر عصبية المظلومين ، والذي حارب الذل لم يثر نمرة المستعبدين ، والذي جاهد الفقر لم يُثر حمية الفقراء ، ولكنه أنشأ جيلاً ذاسمت واحداً في كل مشاعره ؛ يستوى فيه الفقير والغني والسيد والسود ، ثم نهض هذا الجيل نهضة لله أقرت كل شيء في موضعه ، وأعطت كل ذي حق حقه ، وظلت مشاعرها ربانية صافية لا يخالطها نغمة ولا حمية ولا عصبية ، وهذا هو الذي كفّل لها النظافة في كل مراحلها ، والقوة على كل أعدائها ، والثبات بعد انتصارها . .

وأعني « بالروح الباعث » أن تظل الحركة الإسلامية - في كل مكان - حركة بعث لا تتورط في شيء يتخلف بها عن ذلك ، ولا تستهلك قوة من قواها في جزئية تقعد بها عن الإحاطة بالكل الذي هي في سبيل بنائه من جديد ، وأسلوب البعث غير أسلوب الوعظ والتدريس ؛ إنه أسلوب يمدد إلى مكامن الحياة في الناس يناوشها ويطلقها ، وإلى مشاكلهم العملية يبين أسباب الفساد فيها وطريق الخلاص منها ، وينفر من كل جدل لا طائل وراءه ، ومن الدخول في خلافات حول التفاصيل لا تنتهي ، وأن يحتفظ في كل ذلك بصراط دقيق : طبيعته فيه البناء قبل الهدم ، وجمع الشمل قبل إثارة الخصومة ، والإنهاض إلى العمل المنتج لا إلى التلذذ بالنقد !

وأحب أن أستطرد هنا فأضرب مثلاً من واقع الحركة الإسلامية في عصرنا الحديث لقد قام السيد جمال الدين الأفغانى رحمه الله فبعث شعوراً عاماً في العالم الإسلامى ، غلب عليه التحمس السياسى وإن بقي محتفظاً بالصيغة الإسلامية ، ثم جاء الإمام محمد عبده رحمه الله فاتجه إلى نهضة علمية أحدثت أثرها العظيم ولا شك ، ولكنه انشغل فيها بالردود على الشبهات والأباطيل ، وكان ميراثها الكتابات الفنية بين أيدينا ، وطلّعت اليقظة العلمية في الأزهر الشريف ، ثم حمل السيد رشيد رضا لواء المعركة من بعده ، وأخذ رحمه الله يهدم هنا وهناك ، وكان له في ذلك جهاد أى جهاد ، ولكنه انشغل بدوره في الهدم قبل البناء إلى أن جاء الإمام الشهيد « حسن البنا » رحمه الله وكان وثيق الصلة بالسيد رشيد ، ولكنه اتجه اتجاهاً جديداً في العمل والتنظيم ، وآتاه الله روحاً قوية جاب بها المدن والقرى ، وصنع بها التلاميذ والمريدين ، وأنشأ بها الحركة الحية التي لا ترداد إلا قوة ، والتي أصبحت تتعلق بها آمال المسلمين ،

ونجح رضوان الله عليه في تجنب الخلافات رغم أنه كان العالم المتمكن الذي عرف الناس علمه في كتاباته القليلة في « الشهاب » ؛ وكان رائعاً في إبقاء الجذوة مشتعلة بعيداً عن كل جدل وخلاف ، وفي الوصول إلى ما أراد من تصحيح العقيدة وجمع الشمل دون جلبه وضجيج

هكذا يجب أن تكون الحركة التي تريد أن تُنهض المسلمين ، حركة ربانية صافية الوجه والأسلوب ، وباعثة تبعث الحياة ونير الطريق . . .

والحقيقة الثالثة التي رأيتها في رسالة فتاة الأرجنتين وفي دعوة حاكم السند ، هي أن الكتابة وحدها لا تكفي ، والخطابة العامة لا تُغني ، وأنه لا بد من الاتصال الفردي بالناس ؛ فإن للأفراد أمزجةً ومشارب تحتاج إلى صلة من قريب ، ولعلك لو قصّيت جنود الحركة الإسلامية في كل بلد لوجدت لكل منهم قصة في اتصاله بالحركة والعمل فيها ، ولوجدت البطل الحقيقي في كل قصة داعية مؤمناً تصيده في حفل عام ، أو في مكان عمله ، أو طرق بابه ، ولزمه حتى أخذ مكانه في العاملين . وهنا تبدو مسئولية جنود الحركة الإسلامية في كل مكان ؛ فإن الدعوة العامة ليست هي كل شيء في تعريف الناس بالإسلام وجمعهم عليه ، بل إن دور الدعوة العامة هو الدور الهين ، وعلى كل منهم أن يعرف كيف يتعامل بأحد الناس في المسجد ، أو في الشارع ، أو في المدرسة ، أو في المكتب ، أو في المصنع ، أو في المزرعة ؛ لا يحجزه عن ذلك حياء ولا تردد ، وأن يذكر دائماً أن خير هدية يهديها لنفسه هي أن يربط قلباً جديداً بهذا الدين و « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها » .

عبد الرحمن

الجهاد

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٣)

١ - انتهينا في مقالنا السابق إلى بيان إجمالي للباعث الأول من بواعث الجهاد الذى فرضه الله تعالى على المؤمنين ، وهو اعتداء المشركين وغيرهم ، وبقى الباعثان الآخران ، وهما فتح السبيل أمام الدعوة الإسلامية ليخلو وجه الشعوب لسباع كلمة الحق ، ولا تقف محاجزات الأكاسرة والقيصرة دون هذه الدعوة - ورفع المظالم الواقعة على الشعوب من طغيان هؤلاء المعتاة الظالمين .

وإن هذين الباعثين ينتهيان إلى غاية واحدة ، وهى كف أيدي الطغاة الظالمين ، ليكون الناس أحرارا فى اعتناق ما يرون من دين ، وليكون الدين كله لله ، يعتنق الدين من يمتنقه يباعث من وجدانه ، ودافع من عقله ؛ وإن ذلك لا يكون إلا بمنع المظالم كلها ، وتمكين الناس جميعا من أن يكونوا أحرارا ، كما ولدتهم أمهاتهم أحرارا . وإن ذلك لا يتحقق إلا بمحاربة القوى التى يعتمد عليها أولئك الطغاة ، ومنازلتهم فى سبيل الحق والحرية والعدل .

٢ - وفى الحق أن حماية الدعوة الإسلامية فى أرض الجزيرة العربية كانت تتقاضى المجاهدين فى حمايتها ألا يغمضوا أعينهم عن يربص بها الدوائر ، وهم الروم والفرس الذين يكتنفون بملكهم تلك الأرض المقدسة ؛ فإنهم بمجرد أن أحسوا بأن دولة الحق قد قامت فى الأرض ، شعروا بأن الأرض تמיד من تحتهم ، وأن عروشهم تزلزلها صيحات الحق التى تنبث من بلاد العرب مدوية مجلجلة ، وأن الأوهام التى سيطروا بها على شعوبهم تنجاب غياهاها أمام النور المشرق الذى أشعت أضواؤه من بلاد الحجاز .

ولذلك كانوا يتحينون الفرصة للانتفاض على الدعوة ، وقتلها في مهدها ، وإطفاء نور الله الذي أشرق قبل أن تستيقظ شعوبهم لسماعه ، وتهوى أفئدتهم إلى اتباعه ، وتلك هي الحافة التي تقضى عليهم وعلى أوهامهم ؛ ولولا أنهم كانوا في خلاف في أمورهم لماجلواهم الضربة قبل أن يهاجموا ، وما كان للنبي وهو الأريب أن يغفل عن هذه الحقيقة ؛ ولذا اتجه إليهم قبل أن يتجهوا إليه ، وقد بدرت منهم بوادر الشر ، وهما به ، ولكن حيل بينهم بذلك الخلاف ، فكان لابد أن يماجلهم النبي قبل أن يماجلوه ، وما خرج فمله عليه السلام عن أن يكون دفاعا ؛ لأن الدفاع قد يلبس لبوس الهجوم ، وما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا . ولذلك وجه إلى الروم جيوشه قبل أن ينتقل إلى الرقيق الأعلى ، وأوصى بأن ينفذ من بعده جيش أسامة الذي وجهه إلى الشام كيفما كانت الأحوال .

٣ - وإننا نرى الآن الأمم يستمدى بعضها على بعض باسم الحق والعدل ورفع الظلم ، وهي في حقيقة أمرها تريد التسلط على موارد البلاد التي يمادونها ، واستغلالها وفرض الذلة عليها ، وتستتر اعتداءها باسم الحق ، والعمل على ترقية الشعوب ، وما تريد إلا إرهابها ، واستنزاف مواردها ، والضرب عليها ، وتعميق تقدمها ، ومناهضة الحريات فيها ، وقد يبدو لبعض الذين يسيئون الظن بالحروب أن عمل المؤمنين بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان من هذا القبيل ، تستروا باسم دعوة الحق ليغلبوا ، وباسم الحق ليسيطروا ، ويضموا أيديهم على خيرات البلاد المفتوحة .

وإن من يظن ذلك الظن قد يُعذر إذا أراد أن يأخذ من صورة الحاضر الحكم على الماضي ؛ ولكنه يظلم الحقيقة كل الظلم إن عمم ذلك الحكم على المؤمنين الأولين ، الصحابة المكرمين رضي الله عنهم ، وهم الذين يصورون حرب الإسلام في بواعثها وغاياتها ، ونظمها وأحكامها ، وقيودها وأحوالها ؛ لأنهم الذين تلقوا رسالة الرسول من شخصه الكريم ، فهم الذين عاينوا وشاهدوا ؛ وهم الجديرون بأن ينقلوا الصورة الحقيقية لما يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم .

وإنه لأجل أن يتبين المقصد الحقيقي من حروب النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده ، يجب أن نذكر حال الدولتين اللتين كانتا تكتنفان الدولة الإسلامية ، وهما الفرس والروم .

٤ - أما الرومان فقد اعتنق ملوكها النصرانية بعد الوثنية الجامعة في أول القرن الرابع بعد الميلاد ، أو على وجه التحقيق حول سنة ٣٢٥ بعد أن أشربوا المسيحية بمض الوثنية ، وبعد أن أزهقوا النصارى ، وساموم سوء المذاب ، وبعد أن كانوا يحفرون لهم الحفر ويوقدونهم ثم يلقوم فيها أحياء تلثمهم النيران ، وبعد أن اتخذ نيرون من النصارى مشاعل آدمية ، تسير محترقة في ركابه . وكان نصيب مصر من ذلك أعظم نصيب ؛ فإن المذابح كانت تنزل بهم مذبحه بعد مذبحه ، وما زال تاريخ مصر شاهدا بتلك المذبح الإنسانية التي أزلها بمصر « دقلديانوس » امبراطور الرومان ، والتي جعل مبدأ التاريخ القبطى هو حدوثها ؛ فكان التاريخ القبطى بهذا سجلا لمظالم الرومان ، وقوة إيمان المصريين بالنصرانية الأولى .

٥ - ولما دخل الرومان في المسيحية عند انقضاء مجمع نيقية الذي قرر ألوهية المسيح ، واعتباره ابناً لله سبحانه لم تنقطع المظالم ، بل ابتدأت تلبس لبوساً آخر ، ويتجه الاضطهاد الدينى في طريق آخر . لقد أخذوا يضطهدون اليهود ، ليدخلوا في الديانة التي اختارها حكام الرومان ، وأزلوا بهم ما أزلوا بالنصارى من قبل ، بل أمعنوا في تفتيش القلوب ، والكشف عن خبايا النفوس التي لا يعلمها إلا علام الغيوب ؛ فإن من كان يدخل في النصرانية التي ارتضوها - من اليهود - لا يصدقونه ، الغيوب بل يحاولون أن يتمرفوا قلبه ، ولا يتخرجون في سبيل ذلك عن أى إثم يرتكبونه ؛ بل إنهم ليذهب بهم فرط اضطهادهم لهؤلاء المنكوبين بهم أن يستبيحوا بعض المحرمات ليختبروا اعتقادهم . وذلك أنه من المنصوص عليه تحريم الخنزير ، نصت على ذلك التوراة ، وهى واجبة الانباع عند اليهود وعند النصارى على سواء ، وكان اليهود في ذلك الإبان يستمسكون بذلك أشد الاستمساك ؛ فكانوا يحرمون على أنفسهم الخنزير . ولكن الرومان لفرط عنادهم ، ولجأتهم في الأذى استباحوا لحم الخنزير ليختبروا اليهود بذلك ؛ فإن وجدوهم يأكلون الخنزير كما استباحوا هم - كان ذلك دليلا على دخولهم في النصرانية ، وإن امتنعوا عن أكله كان ذلك دليلا على أنهم ما زالوا على دينهم القديم .

إن اللجاجة في الأذى بلغت بذلك أقصى الغاية ، يتخذون من الاستمساك

بأحكام النصرانية الحق دليلاً على أنهم لم يدخلوا فيها ، واستمروا على ذلك الاضطهاد مع أن أم قسطنطين قد نهت عن إبادة الخنزير ، ما دام محرماً في التوراة ، ولم يحج في الإنجيل ما ينسخ ذلك التحريم ، كما هي القواعد المقررة في شريعة النصارى .

٦ - ولما كان الاختلاف بين النصارى حول شخصية المسيح عليه السلام من حيث اجتماع ما سموه الناسوت باللاهوت ، أى العنصر الإنسانى بالعنصر الإلهى في زعمهم .

ولما كان ذلك الاختلاف بين الكنيسة المصرية والكنيسة الرومانية أزل الرومان الأذى بمن خالفهم واعتنقوا مذهب المصريين ، وسموا رأى الرومان المذهب الملكانى ، وسموا رأى المصريين المذهب اليعقوبى نسبة ليعقوب البراذعى أشد الدعاة إليه .

ولقد تعرض بهذا بعض النصارى لحنٍ شديدة قاسية ، بسبب تلك المنازعات المستمرة ، وبسبب أنهم يريدون أن يكون واليهم على مذهبهم ، ويريد الرومان أن يكون والى على المذهب الملكى ، فكانت الحن ، وتولدت الإحن ، وكانت المظالم الشديدة ، التى هُتِكت فيها الحرمات ، وأبيحت الدماء والأموال ، وذهب الأمن ، وانقطعت الصلة بين الحاكم والمحكوم ، وأصبح كل فريق يناوى الآخر ، ويناصبه العداوة ، وفى يد الرومان قوة الجند ، وقوة الحكم ، وأسباب الإكراه والإرغام ، فكانت الفتنة الدينية ، وكان الإكراه المذهبى ، وكان معه الاضطهاد والأذى ، فكان لا بد من منقذ ، ولا يكون من الرومان الغالبين ، الذين هم مصدر الأذى وقوته ، كما لا يمكن أن يكون من الشعوب المغلوبة المرهقة فى حريتها الدينية ، لأنها لا تستطيع لنفسها فكاً ، ولا تستطيع أن تقاوم مضطهدىها بقوة السلاح ؛ لأنهم جردوا من كل قوة ، فلم يكن لهم إلا أن يستسلموا لرب العالمين ، والله مجيب دعاء من يتوكل عليه حق توكله ، فكانت الإجابة بقوة مؤيدة من السماء .

٧ - ولم يكن الأمر مقصوراً على ذلك الاضطهاد الدينى ، بل كانت معه اضطهاد آخر عنصرى ، ذلك أن الرومان ومن قبلهم اليونان كانوا يعتبرون كل من خالفهم ، ولم يولد على أرضهم ، من البرابرة الذين لا يتمتعون بالحرية التى يتمتع بها الرومان ،

والذين يعتبرونهم عبيداً لهم مستخرين ؛ فكانت لذلك المظالم الشديدة المرهقة التي تنزل بالضعفاء ، يسلبون أموالهم وجهودهم وحریاتهم بالاستغلال أحياناً ، وبلاسترقاق أحياناً ، وبالتحكم المذل في كل الأحيان .

وقد كان العرب عرضة لهذه المعاملة المذلة بعد أن بدت فيها تلك القوة الروحية المقاتلة ؛ إذ كانت قبلها في حماية عن أنظار الرومان بحفاها وصحرائها ، ورمالها وعدم وجود موارد لها ؛ ولأنها كانت حصناً محجزاً بين الدولتين المتناحرتين الفرس والروم ، أما وقد صارت قوة مقاتلة طالبة فإنها لا تنتظر من الرومان إلا عذاب الهون ، كما كان الشأن مع النصرانية من قبل ، واليهودية من قبلها ، وقد بدت البوادر فقتل وإلى الشام من قبل الرومان النفر الذين أسلموا فيها .

٨ — فهل يسوغ لمحمد أن ينتظر حتى يأخذوا أتباعه ، بما أخذوا به النصراني واليهود ، إنه الدفاع عن الحوزة ، ومنع الفتنة في الدين بوجيان عليه أن ينازلهم ؛ وقد نابذوه العداوة ، وبادروا بها ؛ فأظهروا بعض ما ينوون ، وفيما ينوون الشر المستطير ، والخطر الداهم على الإسلام والمسلمين ؛ لذلك عاجلهم وسبقهم لتكوين الضربة الأولى المدافعة له ، فأرسل الجيوش في مؤنة مختبراً قوتهم ؛ ثم جهز الجيش لئلازلتهم وجعل على رأسه أسامة ، وأوصى بإنفاده كيفما كانت الحال ؛ فكان الأمر على ما دون التاريخ ، وحمى الإسلام في هذه الناحية من الأرض ، ونجى به المذنبين الذين سامهم الرومان الخسف والنكال .

٩ — ولئن تركنا الرومان ويمنا جهة المشرق لنرى حال الدولة الأخرى التي تصاقب بلاد العرب ، وتستولى على بعض أقاليمها لنجد أن الشر قد أبدى ناجذيه فيها ، فإنه لما وجهت الدعوة إلى كسرى ليدخل في الإسلام أو ليتمكن من في حكمه من أهل فارس في الدخول بادر بالأذى وأرسل إلى الحجاز من يأتيه برأس الرسول الأمين . ولقد كان هذا سبباً كافياً لأن يماجله النبي صلى الله عليه وسلم بالضربة حماية لدعوته ، ودفاعاً عن حوزته ، ولكن الأمر في فارس كان أشد من ذلك ، ودواعي قتالهم لم تكن كذلك .

لقد كانت فارس مقدس النيران ؛ وتسير على مبادئ دينية مضطربة ، والغالب

عليها مذهب زراشت المجوسى الذى كان يؤمن بأن للعالم إلهين : أحدهما للخير والآخر للشر ؛ وكان يدعو إلى القوة والسيطرة . ومبدؤها الخلق أنه لا مكان للضعيف فى هذه الأرض .

١٠ - ولقد كان الشعب فى حال رق مستمر ، وكان آحاده العبيد المسخرون للحاكم ؛ فلا حول لهم ولا قوة ولا شأن لهم فى حكم ، وفوق ذلك فإن الانحلال الخلقى والاجتماعى قد عرا النفس الفارسية قبيل الإسلام ، وذلك لأن تحكيم كسرى وتحكم الأشراف الذين يحفون به سهل على الشعب اعتناق مبادئ مغربة ؛ فقد جاء مزدك ، ودعا إلى إباحة الأموال والنساء ، وأجابته العامة لانحلال كل القيم الخلقية والاجتماعية فى نفوسهم بالتحكم المستمر من الملوك والأشراف ؛ وانتشر ذلك المذهب وذاع وملا البقاع ، حتى ارتفع من العامة إلى الملك ، فاعتنقه قباد كسرى الفرس فى إبانة ؛ وحكم أمداً طويلاً ، وكانت مدة حكمه نحواً من ثلاث وأربعين سنة ، وفيها فسدت الأخلاق وجهلت الأنساب ، وصارت أمور الناس إلى فوضى اجتماعية ، حتى جاء كسرى أنوشروان فقتله واستولى على الملك من بعده ، وفى عهد أنوشروان بزغ من الصحراء نور الوجود ، إذ ولد محمد صلى الله عليه وسلم .

١١ - هذه إشارة إلى حال الفرس : تحكيم من الحكام فى الرعايا واستبداد ، وظلم وعبث ؛ واستغلال القوى ، ثم اعتداء مستمر على العرب ، ثم اتجاه إلى قتل النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فهل كان لمحمد أن يستمر ساكناً حتى يقتلوا الإسلام فى مهده ، ويحتشوه من أصله ؟ ما كان ذلك شأن الدعوة المحمدية ، إنها تماجل الاعتداء قبل استحكامه ، وتأخذه قبل جمع زمامه ؛ ولذلك ما ترك محمد الأمر ، بل اعترم القتال ، ولكنه عاجل الروم قبل الفرس ، وأشار إلى أصحابه إلى أن الفرس سيكونون حماة الإسلام وحملته علمه ؛ فقد ورد فى الصحاح التبشير بأن العلم لو كان فى الثريا لناله ناس من أهل فارس ، ولقد قال جمهور من المفسرين المتبعين فى قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا من يرند منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » : إن أولئك القوم الذين يحبهم الله ويحبونه هم أهل فارس . وما كان ليظهر أولئك المحبون إلا بعد أن تحال الحجز التى تمنع وصول الدعوة إليهم ، والملوك الذين يفتنونهم عن دينهم ؛ وذلك بإزالة طغيان الملوك .

١٢ - ونشهى من هذا إلى أن الحروب الإسلامية الأولى كانت دفاعاً عن الدين من اعتداء المعتدين ، ولنع الظلم المستمر على الرعايا ، وليتمكن الرعايا من إجابة الدعوة الحمديدية من غير فتنة ولا إكراه . وإنا نختم هذا المقال بكتب النبى صلى الله عليه وسلم التى أرسلها إلى بعض هؤلاء الملوك ؛ ومنها يتبين أنه كان يقصد أولاً وبالذات أن يتمكن من الدعوة إلى ربه بين الرعايا .

١٣ - وهذا كتابه الكريم إلى هرقل كما ورد فى الصحاح :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من أتبع الهدى ، أما بعد فأسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن أبيت فإن إثم الأكارين عليك » .

وزى من هذا أنه يطلب منه أن يسلم ، ثم إن أبى فمليه إثم الزراع والصناع وغيرهم من دماء الأمة ، ومعنى ذلك بالتالى أنه لو أخلى بينه وبينهم خلا من إثمهم ، ولكنه لم يفعل .

وبمثل هذه الصيغة كتب إلى كسرى والمقوقس .

ويلاحظ أنه كان لا يخاطبهم بعنوان أنهم ملوك الروم أو الفرس ، بل كان يقول عظيم أمر الفرس أو القبط ، ولا يعبر بملك ، وفى هذا مغزى يدركها المستبصر العميق النظر . وهبنا الله السداد ، ووقفنا إلى الرشاد .

إضاعة العمر

يا واثقاً من عمره بشبيبة علفت يداك بأضعف الأسباب
ضيت ما يجدى عليك بقاؤه وحفظت ما هو مؤذن بذهاب
المال يضبط فى يدك حسابه والعمر تنفقه بغير حساب
« الحافظ الذهبى »

من القرآن . . . أسس الحياة القوية المجيدة :

الانحراف عن العقيدة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٤)

وربما كان من أخطر مظاهر الانحراف عن الإسلام وعقائده ونظمه ، ما نراه ماثلاً في بعض التشريعات والقوانين التي تحكم بها ، معشر المسلمين في مصر وغير مصر من البلاد الإسلامية ، هذه الأيام .

ذلك ، بأن أهم ما يميز به الإسلام عن غيره من الأديان التي سبقتة إلى الوجود في هذا العالم هو أنه جاء بمقيدة وشريعة ، وأنه دين ودولة ، فهو يعني بأمور الآخرة كما يعني بأمور الدنيا .

نعم ! لقد ظهر الإسلام والعرب ، بل العالم كله ، في أشد الحاجة إليه ، فاتاهم العقيدة الحققة بعد أن كانوا منها في أمر صريح ، والشريعة الصحيحة بعد طول ما عصفت بهم النزعات والأهواء ، والنظم الصالحة لبناء أمة قادرة على أن تُسهم بأوفر نصيب في بعث العالم ونهضته ، وكان من هذه الشريعة والنظم ما نسميه « الفقه الإسلامى » .

والإسلام كلٌّ لا يتجزأ ، ونظام متكامل لا يصح أن تؤمن ببعضه ونكفر ببعضه الآخر ، ومن يفعل ذلك فقد ضلّ ضلالاً بعيداً . ومقتضى الإيمان بالله وكتابه الأزلّى الخالد ، والإيمان برسوله وقد أرسل رحمة للعالمين ، أن نزل على كل ما نجد من أحكام وشرائع في القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة ، سواء في ذلك أمور الدنيا وأمور الآخرة .

وقد اشتمل هذان المصدران المقدسان على ما نحن بحاجة إليه من التشريعات

والفظم الصالحة ، وما علينا إلا أن نحسن فهمهما واستبصارهما والإفادة منهما ، وذلك على نحو ما فعل الصحابة والتابعون والفقهاء المجتهدون رضوان الله عليهم جميعا .

ومع غناء الكتاب والسنة وأعمال الفقهاء السابقين في هذه الناحية : ناحية التشريعات والقوانين بمختلف أنواعها ، ومع خصوصية الفقه الإسلامي بفضل أصوله التي يقوم عليها وقابليته لإمدادنا بكل ما يحتاجه العصر من قوانين ، ما الذي نحن عليه اليوم ؟ .

رأى بكل أسف أننا انصرفنا في غير قليل من القوانين والتشريعات عن هذا الفقه ، وولينا وجوهنا شطر الغرب نأخذ عنه ، كأننا أمة ليس لها ماض ولا تاريخ مجيد ، ولا تشريعات صالحة لكل زمان ومكان ، ومع هذا نزع أننا أمة مسلمة مؤمنة بالله وكتابه الذي أنزل على رسوله !

هذا الكتاب الذي يقول في بعض آياته الكريمة المحكمة : « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله وإلى الرسول » ؛ ويقول : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ويقول : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا » .

وهذا الرسول الذي يقول ، صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه الإمام البخاري : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ؛ فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلا والمشب الكثير ؛ وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ؛ وأصاب منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثنى الله تعالى به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .

وإن تمجّب فمجبّب استمسك القوم بقوانينهم الوضعية ، وهي من عمل العقل البشري الذي هو عرضة دائما للخطأ ، وآية ذلك في هذه القوانين ذاتها ما ينالها

دأبنا من تغيير وتبديل وإلغاء ! وعدم تمسكنا نحن المسلمين بقوانيننا وشرائعنا ، وهى إلهية فى أسسها وأصولها وكثير من تفاصيلها ؛ وانصرافنا بهذا عن كتاب الله الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وعن سنة رسوله الذى لا ينطق عن الهوى .

وقد يكون من الواجب البحث عن السبب الأول لهذا البلاء ، بل لهذا الحمق الذى نرى له مظاهر مختلفة فى ناحية القانون وغير القانون ، وإن كنا نرى أن يكون حديثنا فى هذه الكلمة عن القانون وحده ، القانون الذى هو أساس كل مجتمع ؛ إذ يحدد العلاقات بين الناس بعضهم وبعض ، وبين الحاكم والمحكومين ، وهو كذلك عامل له خطره فى الأخلاق الفردية والاجتماعية .

إن هؤلاء الزائغين عن كتاب الله وسنة رسوله ، والمنصرفين عن شريعة الإسلام إلى شرائع الغرب وقوانينه ، يقولون بأن القانون الإسلامى « جامد لا يقبل التطور مع الزمن » ؛ وأن ما كان صالحا منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، فى ذلك العالم البسيط فى حاجاته ومشاكله ، لا يمكن أن يصلح لهذا العصر المتغير الكثير الحاجات والمشاكل .

وقد تعاموا أو تغافلوا عن أن هذا الفقه الإسلامى قابل حقا للتطور حسب المصالح العامة للمجتمع فى كل عصر ، وذلك بفضل أصوله الحصينة المرنة : نعى الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة ونحوها مما يعرفه دارسو هذا الفقه ، حتى لقد اضطر كثير من المستشرقين والغربيين بعامة إلى الإقرار بذلك كله .

بل إنى ، وأنا فرد واحد متواضع الجهد ومحدود الفكر ، قد استطعت بحمد الله بحث ما يجرى فى « بورصة » القطن فى مصر ، والحكم على عملياته التى تجرى فى هذه السوق على ضوء هذا الفقه الإسلامى ، وذلك فى كتاب ظهر لنا هذا العام بعنوان : « فقه الكتاب والسنة ؛ البيوع والمعاملات المالية المعاصرة » ، فكيف يكون الحال إذا تضافرت جهود العلماء والفقهاء على بحث كل المعاملات المالية والتجارية التى تجرى فى سائر الأسواق والبنوك ؟ !

ويقولون أيضا : إن هذا الفقه مورد عسر الورود إن لم يكن متعذره ، بسبب ما يعوزه من حسن التبويب والعرض بما يحمله على حبل الذراع لمن يريد . وهذا فضلا عما أصاب الفقه من الجمود والوقوف عند ما قال السابقون ، وذلك بسبب إقفال باب الاجتهاد وشيوع التقليد الذي ران على العقول والقلوب .

ومع ما في هذا القول من الحق ، فإنه في رأينا تملأ بها أولئك المنصرفون عن هدى الله ورسوله ، الكافرون بقوميتهم وما تقوم عليه من أسس يُعْتَبَر الدين أولها . وإلا ، أين هم من الأحكام التشريعية التي نجدتها واضحة ثابتة في القرآن نفسه ؟

إن القرآن يحرم الربا قليلا وكثيره ، وفي كل صوره وضروبه ، ومع هذا فنحن نقيم اقتصادنا القوي ومعاملاتنا المالية والتجارية عليه جريا مع الغرب ! والقرآن نفسه كذلك يحرم الخمر واليسر ، ومع هذا نسن القوانين التجارية في الخمر وحمايتها ، أو نمارس غير قليل من اليسر ، في صور مختلفة ! والحال كذلك في كثير من الأحكام الجنائية وغيرها ، ويكفي التمثيل الآن بمقوبة الزنا والسرقه !

ولكن من الحق كما قلنا أن الفقه يحتاج إلى عمل كثير جاد من المؤمنين به ، بل من المؤمنين بمصدره العظيمين المقدسين : الكتاب والسنة ، وهذا حتى يكون لنا أن نطالب بأن يكون هذا الفقه الإسلامي هو المصدر الرسمي الأول للقوانين التي تحكم بها الأمة الإسلامية في مصر وغير مصر .

إن على الفقيه ، من رجال الأزهر وغيره من المأهدين الإسلامية ، ألا يمشي في الماضي وحده ، فلا يمكف إلا على ما تركه لنا أسلافنا من تراث ؛ بل عليه أن يمشي في زمنه ، وأن يحيط بالمشاكل الفقهية والقانونية لمصره وبيئته ، ثم يجتهد في إيجاد حلول لها تتحقق بها المصلحة العامة الحقيقية . ويكفي حينئذ ألا تتعارض هذه الحلول مع شيء من القرآن والسنة ، وإن تمارضت مع قليل أو كثير من آراء الفقهاء الماضين .

إنه من الواجب أن يكون لنا فقهاء من هذا الطراز المجيد الذي كان عليه

الأسلاف الذين عاشوا مع بيئاتهم وحلّوا لها مشاكلها ، وحينئذ نرى حكم الشريعة الإسلامية واضحاً قوياً في كل مشا كل هذا الزمن ، وفي جميع ميادين الحياة المتجددة دائماً ، ومن أولى بإعداد هذا الطراز من الفقهاء من الأزهر متعاوناً مع كليات الحقوق في الجامعات المصرية !

هذا ، ونعتقد كل الاعتقاد أنه قد آن الأوان ليكون لنا « مجمع الفقه الإسلامي » بجانب « مجمع اللغة العربية » ؛ فإن دراسة الفقه على النحو الذي طالما دعونا إليه ، وتحقيق الغاية من هذه الدراسة ، أمر لا يمكن أن يتحقق إلا برجال هذا « المجمع » الذي نلح في الدعوة إليه جاهدین .

وإنه من المنجل لنا ، نحن المسلمين والعرب ، أن نجد الغربيين يعمنون بهذا الفقه الخالد ؛ فيقيمون له حلقات دورية لدراسته من المهتمين به في الغرب والشرق ، ثم توفد الحكومات والجامعات العربية الإسلامية ممثلين لها في هذه الحلقات أو « الأسابيع » أو المؤتمرات ، ولا نفكر نحن بأن نكون البادئين المنشئين لهذه الحلقات وندعو لها المهتمين من الأجانب بهذا الفقه الإسلامي !

إن هذا « المجمع » ، حين يتكون من علماء بالشريعة الإسلامية ، ومن علماء بالقانون الوضعي يتميزون بالعاطفة الدينية الإسلامية الصادقة ، يستطيع أن يقوم بكل ما نرجوه ويرجوه غيرنا من محبي هذا الفقه والراغبين في جملة أساس تشريعنا الحديثة .

كما أنه يستطيع ، بلا ريب ، أن يعمل على تطور هذا الفقه وجعله صالحاً للتطبيق في هذا العصر ؛ على أن يكون هذا التطور في دائرة الكتاب والسنة ، ووفقاً لمبادئ الفقه نفسه وأصوله وبخاصة الإجماع . هذا الأصل الحبيب الذي أدى ثمراته الطيبة في الأيام المجيدة الأولى ، وهو حري بأن يؤتي ثمراته الطيبة أيضاً في هذا العصر وفي المستقبل من الزمان دائماً .

في ظلال السنة

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

مدح الرجل في وجهه قصم ظهره

روي مسلم في صحيحه عن أبي موسى قال :
سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يثنى على رجل ويُطريه في المدح فقال :
« لقد أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل »^(١)

ظاهر الحديث يدل على تحريم مدح الرجل في وجهه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم
شبه ذلك بالقطع أو الهلاك .

وذلك ممنوع . لكن يمارضه قوله عليه السلام في عبد الله بن عمر « نعم الرجل
لو كان يقوم الليل » وعبد الله بن عمر رضي الله عنه حاضر بسمع ، وذلك تركية له وثناء
عليه . والجمع بينهما من وجوه :

الأول : أن ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر لم يكن منه ابتداء ولا جواباً
لسؤال سائل ؛ وإنما كان ذلك تفسيراً لرؤيا رآها ابن عمر فاقتضى تفسيرها ما قاله
النبي صلى الله عليه وسلم .

وذلك أن عبد الله بن عمر كان يرى الناس يأتون النبي صلى الله عليه وسلم برؤى
يفسرها لهم ، فيتمنى في نفسه أن لو رأى رؤياً فيُستل عنها النبي صلى الله عليه وسلم
كما كان يفعل الناس . فرأى رؤياً فسئل عنها فاقتضت رؤياه أنه من الصالحين ، لكن
نقص منه كونه لا يقوم الليل . وقد ثبت عنه عليه السلام أنه قال : « الرؤيا من النبوة
وما كان من النبوة فهو وحى » والوحى لا يجوز كتبه .

(١) قول الراوى للحديث : « أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل » إنما هو شك منه في أيهما
قاله عليه السلام .

الثاني : أن تمارض الحديثين يبين معناهما ، ويفصح بالمراد في كليهما حديثان آخران ، وهما قوله عليه السلام : « لا تزكوا على الله أحدا ، ولكن قولوا بإخاله كذا ، أو أظنه كذا » وقوله عليه السلام : « إذا رأيتم الرجل يواظب المسجد فاشهدوا له بالإيمان » .

فيحصل من عموم هذه الأحاديث أن التزكية بالقطع ممنوعة مطلقاً لأن القطع بها حكم على الغيب ؛ والحكم على الغيب بالنسبة إلى البشر مستحيل .
 روى مسلم في صحيحه عن إبراهيم عن همام بن الحارث أن رجلاً جمل يمدح عثمان رضى الله عنه ، فعمد القداد فجثا على ركبتيه - وكان رجلاً ضخماً - فجعل يحثو في وجهه الحصباء ، فقال له عثمان : ما شأنك ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نحثي في وجوه المداحين التراب .

وأما تزكية الشخص فلا يخلو أن تكون من الإنسان نفسه لنفسه أو من غيره . فإن كانت من الإنسان نفسه لنفسه بأن يذكر محاسنه فهو على ضربين : مذموم ومحمود . فالذموم أن يذكره بالافتخار ، وإظهار الارتفاع والتميز على الأقران وشبه ذلك ؛ فهذا لا يجوز لقوله تعالى في سورة (النجم) « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » .

قال الألوسي في تفسيره :

« نزلت هذه الآية على ما قيل في قوم من المؤمنين كانوا يعملون أعمالاً حسنة ، ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا . وهذا مذموم منهى عنه إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء » .
 وأما المحمود من تزكية الشخص لنفسه فهو أن يكون فيه مصلحة دينية في ذلك بأن يكون آمراً بالمعروف ، أو ناهياً عن المنكر ، أو ناصحاً ، أو مستشيراً لمصلحة ، أو معلماً ، أو مؤدباً ، أو واعظاً ، أو مذكراً ، أو مصلحاً بين اثنين ، أو يدفع عن نفسه شراً ونحو ذلك ؛ فيذكر محاسنه ناوياً بذلك أن يكون هذا أقرب إلى قبول قوله واعتماد ما يذكره ، أو أن هذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به ، أو نحو ذلك .

وإن كانت التزكية من غيره فلا يخلو أن يكون في وجه المدوح ، أو بغير حضوره .
فأما الذي في غير حضوره فلا منع منه إلا أن يجازف المادح فيدخل في الكذب ،
فيحرم عليه بسبب الكذب لا لسكونه مدحا . ويستحب هذا المدح الذي لا كذب
فيه إذا ترتبت عليه مصلحة ، ولم يجرّ إلى مفسدة ؛ بأن يبلغ المدوح فيفتن به أو غير ذلك .
وأما المدح في وجه المدوح فلا يخلو أن يكون تزكية له عند الحاكم لكي تقبل
شهادته أم لا ؛ فإن كان كذلك فهي جائزة امتثالا لأمر الشارع عليه السلام في ذلك ،
وإن كانت لغير ذلك فهي الممنوعة في الحديث . ولأجل هذا المعنى قال عليه السلام :
« من مات على خير عمله فأرجوا له خيرا ، ومن مات على شر عمله فخافوا عليه ولا تنأسوا »
الثالث : أن معنى النهي عن مدح الرجل في وجهه هو خوف الاعتزاز والإعجاب
وهو ممنوع شرعا .

يقول أبو بكر الرازي في كتابه (الطب الروحاني) :

« إن من أجل محبة كل إنسان لنفسه يكون استحسانه للجسّن منها فوق حقه ،
واستقباحه للقبیح منها دون حقه ، ويكون استقباحه للقبیح واستحسانه للحسن من
غيره — إذا كان بريئا من حبه وبغضه — بمقدار حقه ؛ لأن عقله حينئذ صاف
لا يشوبه ولا يجاذبه الهوى .

« ومن أجل ما ذكرنا فإنه إذا كانت للإنسان أدنى فضيلة عظمت عند نفسه
وأحب أن يمدح عليها فوق استحقاقه ، وإذا تأكدت فيه هذه الحالة صار عجبا ؛
ولا سيما إن وجد قوما يساعدونه على ذلك ، ويلفون من تركيته ومدحه ما يجب »
ومما يؤيد هذا قوله عليه السلام « لو لم تذببوا خلفت عليكم ما هو أشد وهو
الإعجاب » ولهذا قال عليه السلام : « احثوا التراب في وجوه المداحين » ومعناه
احرموهم مما أرادوا لثلاث يزيدون في المدح فيقع الإعجاب لمدهم .

وهذا المعنى الذي أشرنا إليه قد أهمله اليوم جل الناس ، وعملوا على مقتضى النهي
وارتكبوه ؛ فكثرت المدح عندهم بعضهم لبعض في الظاهر مع اضطغان في النفوس ،
وإحتن في الصدور ، وعداوة في البواطن ؛ وجعلوا نفس ارتكاب النهي من
النبل والسكيس .

قال عليه السلام : « يأتي في آخر الزمان قوم إخوان العلانية أعداء السرية . قيل وكيف يكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : يكون برهة منهم من بعض ، ورغبة بعضهم في بعض ؛ فالحذر الحذر من نبل وكيس » .

يقول الغزالي في كتابه (الإحياء) :

المدح يدخله ست آفات : أربع في المادح ، واثنان في المدح .
فأما المادح :

الاولى : أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب . قال خالد بن معدان من مدح إماماً أو أحداً بما ليس فيه على رءوس الأئمه بعه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه .
الثانية : أنه قد يدخله الرياء ، فإنه بالمدح مظهر للحب ، وقد لا يكون مضمراً له ولا معتقداً لجميع ما يقوله ، فيصير به مرأبياً منافقاً .

الثالثة : أنه قد يقول مالا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه .

الرابعة : أنه قد يُفرح المدح وهو ظالم فاسق وذلك غير جائز . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق » .

وقال الحسن : من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يُعصى الله تعالى في أرضه .
فإن الظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ، لا أن يمدح ليفرح .

وأما المدح فيضره المدح من وجهين :

أحدهما : أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وهما مهلكان .

قال الحسن رضي الله عنه : كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله إذ أقبل الجارود بن النذر ، فقال رجل : هذا سيد ريعة ، فسمها عمر ومن حوله ، وسمها الجارود .

فلما دنا من عمر خفقه بالدرة ، فقال الجارود مالي ولاك يا أمير المؤمنين ؟
قال مالي ولاك ؛ أما لقد سمعتها ! قال سمعتها فإذا فيها ؟
قال عمر : خشيت أن يخالط قلبك منها شيء ، فأحببت أن أطأطئ منك .

الثاني : هو أنه إذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضى عن نفسه ؛ ومن أعجب بنفسه قلّ تشمره ، وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا ، فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ؛ ولهذا قال عليه السلام : « قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح » وقال صلوات الله وسلامه عليه : « إدامدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقة موسى وميضا » .

فالإسراف في المدح من الخطباء والشعراء مذمة ، والمبالغة في الثناء مهلكة ، وهو سمّة من سمات النفاق ؛ وإنما يكثر في عصور الاضطهاد والاستبداد ، والحجّر على الحريات ، والاعتداء على الكرامات ، حيث يكثر الطغاة والمتجبرون ، ويشيع التملقون والمنافقون . وقد يما قال علي بن أبي طالب : « من مدحك بما ليس فيك فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك » .

المنايا ولا الهوان

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم في شأنه ما عانا
وتولوا بغضّة كلهم منه وإن سرّ بعضهم أحيانا
ربما نخسِنُ الصنيع لئاليه ولكن تكدرُ الإحسانا
وكأنا لم يرضَ فينا بربِّ الدهر حتى أعانه من أعانا
كلّا أنبتَ الزمانُ قنّاءَ ركبٍ المرء في القنّاء سنانا
ومراد النفوس أصغر من أن تتعادي فيه وأن تتفانى
غير أن الفتى يلاق المنايا كالحات ولا يلاق الهوانا
« المتنبي »

صفحات من الأدب السِّيَاسِيِّ

للأستاذ محمد المبارك

نائب دمشق

إن في ميدان الحياة السياسية آراء وأفكاراً ، وعواطف ومشاعر للأفراد والجماعات لا بد للأدب الحى من أن يعبر عنها ، وللأدب المتصل بحياة أمته أن يصورها ؛ فللتجاهات الاشتراكية والرأسمالية ، وللتوراث الشعبية كما للنظم الفردية الاستبدادية مؤرخوها وأدباؤها من كتاب وشعراء وقصصيين .

وقد يخيل للناظر نظرة سطحية في الأدب العربى أنه فقير من هذه الناحية ، وأنه إن صور الحياة السياسية صورها من جانب دون جانب . فتاريخ الشعر السياسى في أدبنا ، كما يخيل لهذا الفاحص السطحي ، مجموعة من قصائد المديح : مديح الملوك والأمراء والقواد ، تصور الماطفة الصادقة حيناً ، والتزلف والتفاد في أغلب الأحيان ، فيتساءل أين تصوير الشعب على حقيقته في مشاهدده وصوره وعواطفه وتزواته وتياراته وأفكاره ؟ والواقع أن هذه القصائد أشبه بخطب الحفلات والمهرجانات ونشرات الدعاية والإذاعة في عهود الطغيان والاستبداد ؛ فهل يصح أن نقول عنها إنها تاريخ لحقبة من الزمن ؟

إذا كان كثير من مؤرخى الأدب العربى قديماً وحديثاً أعطونا عنه هذه الصورة حتى كأنهم كتبوه في قصور الملوك والأمراء وفى كنفهم وتحت رعايتهم ، فليس ذلك ذنب الأدب العربى ؛ ففي الأدب العربى صفحات مشرقة من تصوير الحياة الشعبية والحياة السياسية ، ومن تصوير الثورة على الظلم ، شع نورها في بمض المهود الصافية ، ثم غشيتها سحابة من ظلام ، وتناول عليها الأمد ولكن نورها لم ينطفى .

إننا بحاجة إلى أن ننظر إلى أدبنا نظرة جديدة قد تقلب تاريخه رأساً على عقب ؛ فإذا بشعراء كانوا يترجمون على عروش الشعر ينخفضون ، وآخرين من المغمورين يتقدمون إلى الصف الأول . وإذا بالشاعر نفسه تتغير نظرتنا في شعره فتجني بعض آثاره التي اندثرت ، وينطوى بعض شعره الذي كانت له المنزلة الأولى . ومن أمثلة ذلك في الشعر القصائد الكثيرة التي قيلت في المآسي الاجتماعية العامة ؛ كالتي قيلت في نكبة الأندلس ، وكقصيدة ابن الرومي في مأساة البصرة . ولابن المعتز أرجوزة طويلة وصف فيها اضطراب الحال في عصره ، وما كان يصيب الناس من مصادرة للأموال أو زج في السجون ، وما كان من ضروب الاضطهاد لمختلف طبقات الشعب ، وما كان يحدث من مفاجآت ينتقل فيها ذوو النفوذ والسلطان إلى أعماق السجون ، وأهل السجون إلى أعلى مقامات الدولة . صور كل ذلك تصويراً حياً مليئاً بالحوادث والمشاهد والصور ؛ ولكن هذه القصيدة لم تشتهر اشتهاً سائر شعره الذي يصور فيه رفاهية الأمراء والخلفاء ، ونظرتهم إلى الطبيعة من خلال تلك الحياة المترفة المصطنعة . وفي شعر ابن الرومي صور ومشاهد كثيرة من الحياة الاجتماعية في عصره .

وأما النثر السياسي والاجتماعي ففي أدبنا منه الشيء الكثير ؛ أذكر منه على سبيل المثال القصص الشعبية الموثقة في كتب الجاحظ ، وخطب الخوارج ، ورسائل بعض الخلفاء .

وبودي الآن أن أعرض لجانب من الحياة السياسية في أدبنا هو منها في الصميم ، وهو الثورة على الظلم ؛ لأستعرض من آثار الأدب العربي ما يصور هذا الجانب على أنه فكرة ومبدأ ، وعلى أنه إحساس وعاطفة . وإليك مثلاً من هذا الأدب الثائر ما قاله أحد أفراد الرعية الخلفية عُرِف بالسطوة والجبروت :

بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور
البنى والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع . فخرج المنصور
فجلس ناحية من المسجد وأرسل إلى الرجل يدعوه ، فصلى الرجل ركعتين وأقبل مع
الرسول فسلم عليه . فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من ظهور البنى والفساد

فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ؛ فوالله لقد حشوت مسامعى ما أرمضنى . قال يا أمير المؤمنين إن أمنتنى على نفسى أنبأتك بالأمور من أصولها ، وإلا احتجرت منك واقتصرت على نفسى ففيها لى شاعل . فقال أنت آمن على نفسك ققل . فقال :

إن الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البنى والفساد لانت . قال : ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى قبضتى ، والحلو والحامض عندى ! قال : وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك ! إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين وأموالهم ، فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر ، وأبواباً من الحديد وحجة معهم السلاح ، ثم سجنك نفسك فيها عنهم ، وبعت عمالك فى جباية الأموال وجمعها ، وقويتهم بالرجال والسلاح والسكرع ، وأمرت بالآلا بدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان — نفر سميتهم — ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير — ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق — فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك ، وأمرت ألا يحجبوا عنك تجبى الأموال وتجمعها ولا تقسمها قالوا : هذا قد خان الله فما بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسه ؛ فأعمرنا بالآلا يصل إليك من علم أخبار الناس شئ إلا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا عابوه عندك ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره . فلما انتشر ذلك عنك وعندهم أعظمهم الناس وهابوهم ، فكان أول من صانهم عمالك بالهدايا والأموال ليقووا بها على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم ؛ فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك وأوقفت للناس رجلاً ينظر فى مظالمهم ، فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك خبره سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك فإن المتظلم منه له بهم حرمة فأجابهم خوفاً منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه ، فإذا أجهد

وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فضرَبَ ضرباً مبرحاً ليكون نكالا لغيره وأنت
تنظر فلا تنكر ؛ فما بقاء الإسلام على هذا ! وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين
فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه فبكى يوماً بكاء شديداً ، فحنته جلساؤه على الصبر
فقال : أما إنى لست أبكى للبلى النازلة بى ولكنى أبكى لمظلوم بالباب يصرخ ولم أسمع
صوته ، ثم قال : أما إذ ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب . نادوا فى الناس ألا يلبس
ثوباً أحمر إلا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفى نهاره وينظر هل يرى مظلوماً .
فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته برعيته شح نفسه . وأنت مؤمن بالله
ثم من أهل بيت نبيه ولا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك . فإن كنت إنما تجمع
المال لولدك فقد أراك الله عبداً فى الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض
مال ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى
تعظم رغبة الناس إليه ، ولست بالذى تعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء . وإن قلت
إنما أجمع المال لتشديد السلطان فقد أراك الله عبداً فى بنى أمية ما أغنى عنهم ما جمعوا
من الذهب والفضة وأعدوا من الرجال والسلاح والكرراع حتى أراد الله بكم ما أراد .
وإن قلت إنما أجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنا فيها فوالله ما فوق ما
أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين . هل تعاقب من
عصاك بأشد من القتل ؟ قال المنصور : لا . قال فكيف تصنع بالملك الذى خولك ملك الدنيا
وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود فى العذاب الأليم قد رأى ما قد عقد
عليه قلبك وعملته جوارحك ونظر إليه بصرك واجترحته يداك ومشت إليه رجلاك
هل يغنى عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك إلى
الحساب ؟ فبكى المنصور وقال : يا ليتنى لم أخلق ! ويحك فكيف أحتال لنفسى .
قال : يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاما يفزعون إليهم فى دينهم ويرضون بهم فاجعلهم
بطانتك يرشدوك ، وشاورهم فى أمرك يسددوك قال : قد بعثت إليهم فهربوا منى .
قال : خافوا أن تحملهم على طريقتك ، ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصر
المظلوم واقمع الظالم وخذ النوى والصدقات مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على
أهله وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويسعدوك على صلاح الأمة . وجاء المؤذنون فسلموا
عليه فصلى وعاد إلى مجلسه وطلب الرجل فلم يوجد .

ليس هذا الأثر فريداً في تاريخ أدبنا ، فقد جمع ابن قتيبة وهو من أبناء القرن الثالث للهجرة عدداً من هذه الآثار في فصل خاص من كتابه (عيون الأخبار) .

ليس هذا الأثر إلا حلقة من سلسلة ، ونتيجة لتربية شعبية عامة جعلت الأمة تدين لعقائد لا لأشخاص ، وجعلت غايتها إقامة العدل وإعلاء الحق لا تعظيم الرؤساء وإعلاء شأنهم . إنها مدرسة تخرج بها أفراد الأمة حتى صاروا يصعدون عن عقيدة لا عن منفعة ، وعن عزة بالحق لا عن خضوع لنفر من الناس ؛ فقد كان يرى المسلمون الأولون في خلفائهم وأمرائهم خداماً للحق وأجراء للأمة ، إن استقاموا على ذلك أعينوا ، وإن انحرفوا نُصحوا ، فإن طغوا أصبح الناس في حل من طاعتهم .

إن هذه النظرة تتجلى في حياة العرب في العهد الأول من ظهور الإسلام ولادة فطرة واستعداد ، ونتيجة تربية وإعداد : أما الفطرة والاستعداد فقد هياهم الله لها قبل الإسلام فكان في العرب شعور بالمساواة وإباء عن قبول الظلم ؛ وذلك في حدود ضيقة من نظامهم القبلي ، وأما التربية والإعداد فقد تمت خلال بضع وعشرين سنة تنزل فيها آيات الكتاب الكريم فتغذي النفوس بالمشاعر المثالية ، والعقول بالأفكار التي تشعر الإنسان بكرامته وتبعثه على دفع الظلم .

إن للأدب السياسي ولا سيما فكرة الثورة على الظلم صفحات مشرقة رائعة في كتاب الله الخالد ؛ فقد انبثت فكرة محاربة الظلم خلال سورة وفي ثنايا آياته ، فكانت تسلك إلى الظهور سبيل تحطيم الآلهة المزيفة في أي سورة ظهرت ، وفي فكرة تكريم بني آدم وعدم الخضوع لغير الله فكانت تنهاى الأصنام وتهاقت العظائم والزعامات المتألهة الحائلة بين الإنسان والسمو إلى اللانهاية والخلود أمام عظمة الله وحده . وقد عرض القرآن صوراً من الحياة الاجتماعية والسياسية ، وكان في عرضه هذا رامياً إلى الاعتبار وتكوين الأهداف الخلقية في النفوس ؛ حتى إنه خصص سورة (القصص) لفكرة واحدة هي تقويض عروش الظلم المتأله على البشر في ميدان السلطان السياسي والمالي .

ففي هذه السورة شخصيتان تمثل إحداها الحاكم المتأله أو الطاغية الذي يقيم

من نفسه إلهاً للناس وهو فرعون ، وتمثل الثانية التمول الباغى الذى يتخذ من كنوزه أداة للفساد فى الأرض أو البغى على الناس وهو قارون .

وتدور السورة حول هاتين الفكرتين وهاتين الشخصيتين فى أسلوب قصصى اختص به القرآن ، وتنتهى بتعطيمهما والوصول بهما إلى أسوأ مصير . وفى مقدمة السورة خلاصة القصة ونتيجتها :

« نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين . وزيد أن نمنَّ على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض وزى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون . »

ثم تتوالى حوادث القصة مرحلة بعد مرحلة ، ويبدو العمل البشرى فى مقاومة الظلم بظاهره القدر الإلهى حتى إذا ما كان الظلم فى سكرة غروره وسخف استعلائه حتى يتحدى الخالق فيقول : « بآيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقدلى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين » ويستمر فى خيال غلوائه : « واستكبر هو وجنوده فى الأرض بنير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون » إذا به يفاجأ بسوء المصير : « فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين »

أما الشخصية الثانية التى تمثل طغيان الثروة وفساد الترف فإليك صورتها فى هذه الآيات التى تصور غناه وبغيه ، وتحكى قول الناصحين إلى جانب غروره وفساد تفكيره :

« إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم

عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمًّا .

وهذا قارون في موكبه الفخيم وحديث الناس من حوله من مفتريين وغير مفتريين : « نخرج على قومه في زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم : ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون » .

وهذا قضاء الله في طاعة المال : « نخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » . وأما أولئك الذين تمنوا مثل ثروته فكيف أصبحوا ؟ « وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون : ويكأن الله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر ، لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لا يفلح الكافرون » .

وختمت القستان بفكرة هي مغزاها وفلسفتها :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

وتختم السورة بأروع خاتمة ؛ بدعوة إلى الإعراض عن تأليه القيم الزائلة والأغراض المؤقتة الزائفة ومن أكبرها السلطان والمال ، والإيمان بإله واحد له وحده الخلود لا للمال الهالك ، وله وحده الحكم لا للسلطان الزائل :

« ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » .

طَرِيقَتَانِ

« وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ »

للإمام الشهيد حسن البنا

« أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى »

وقد حُدِّدَ له سبيله ، وخط بين يديه طريقه ، ووضعت أمامه أعلام غايته وحكمة خلقته :

« أَحْسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ »
والسعداء من صادقهم العناية ، واجتذبتهم أضواء الهداية ، وانجابت عن
أبصارهم سحائب الغفلة ؛ فأدركوا هذه الحقيقة ، وتمرقفوا مراحل الطريق ، وسلكوا
قديماً إلى الناية ، وفقهوا قول العلي الكبير :

« فِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ . وَلَا تَجْمَعُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ » .

وكل ما عوّقك عن الوصول إليه ، أو حولك عن الاتجاه نحوه ، أو حال بينك
وبين الاعتماد عليه من هوى ، غالب ، أو غرض جامع ، أو عرض زائل ؛ فهو إله
من دونه :

« أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ
وَجَمَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ » .

أيها الإنسان : بين يديك طريقان لا ثالث لهما : طريق ممهدة ظليّة مشرقة جميلة ،
يحف بها الروح والريحان ، وبمحيط بها الجمال من كل مكان ، أولها اليقين والإيمان ،

ومراحلها الاستقامة وطاعة الرحمن ، ونهايتها الجنة والرضوان ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وطريق مقفرة موحشة ، مظلمة مهلكة ، أولها الحجود والفكران ، ومراحلها الإثم والعصيان ، وآخرها الجحيم والنيران :

« فَأَمَّا مَنْ طَفَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى » .

ولا يستوى الطريقان أبداً :

« أَفَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ . أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَأَوتَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ » .

« أَفَنَجْمَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ؟ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟ ! » « أَمْ نَجْمَلُ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ، أَمْ نَجْمَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ؟ »

فالمسلمون الماملون المخلصون إلى خير في الدنيا وإلى سعادة في العقبى ، والعكس بالعكس :

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

« وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى » .

وكما يختلف الأثر في الأفراد ، يختلف في الأمم والجماعات ؛ فالأمة المستمكة بهذا الهدى الرباني ، السالكة على الطريق الإلهي ، الآخذة عن الوحي السماوي ، مؤيدة في دنياها بالعزة والسيادة ، ولها في الآخرة الحسنى وزيادة ، والعكس بالعكس كذلك :

« وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ »

« وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلَوْا مِنْ فَوْقِهِمْ »

ومن تحت أرجلهم» « وضرَبَ اللهُ مثلاً قريةً كانت آمينةً مطمئنةً بأنها رزقُها رغداً من كلِّ مكانٍ فكفَّرتُ بأنعمِ اللهِ فاذاقَها اللهُ لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعون » .

ومشكلة الدنيا اليوم ، ليست مشكلة مادية بقدر ما هي مشكلة روحية ، ليست مشكلة الفقر والمرض والجهل بقدر ما هي مشكلة الظلم والطمع والقوة وفقدان العدالة والرحمة والإنصاف .

فيا أيها الإنسان : إلى متى والنذر بين يديك ، والشواهد حاضرة لديك ، ولم تنس بعد آثار درس الأمس ، وقد تلقته الإنسانية ، كآسى ما يكون طول ست سنوات ، أكلت الأخضر واليابس ؛ والنمل حاضرة إن عادت المقرب ، والمعقوبة ممكنة إن أصر المذنب ، والبر لا يبلى والذنوب لا ينسى والديان لا يموت ، وكما تدين تدان :

« فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ؟ قُلْ فانتظروا إني معكم مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ . ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ » .

والقلوب بيد الله :

« وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .

حكم

* حظ النفس في المعصية ظاهر جلي ، وحظها في الطاعة باطن خفي ، ومداداة ما يخفى صعب علاجه .

* أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها .

« ابن عطاء السكندري »

تَغْيِيرُ الْأَحْكَامِ بِتَغْيِيرِ الْأَزْمَانِ

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى أحمد الزرقا

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق السورية

من المقرر في فقه الشريعة أن لتغير الأوضاع والأحوال الزمنية تأثيرا كبيرا في كثير من الأحكام الشرعية الاجتهادية ، فإن هذه الأحكام تفتقر إلى إقامته العدل وجلب المصالح ودرء المفاسد ؛ فهي ذات ارتباط وثيق بالأوضاع والوسائل الزمنية وبالأخلاق العامة . فكم من حكم كان تديرا نافعا وعلاجاً ناجماً لبيئة في زمن معين ، فأصبح بعد جيل أو أجيال لا يوصل إلى المقصود منه ، أو يفرض إلى عكسه ، بتغير الأوضاع والوسائل والأخلاق .

وعن هذا أفتى الفقهاء المتأخرون من شتى المذاهب الفقهية في كثير من المسائل بعكس ما أفتى به أئمة مذاهبهم وفقهاؤها الأولون ، وصرح هؤلاء المتأخرون بأن سبب اختلاف فتوَاهم عن سبقهم هو اختلاف الزمان وفساد الأخلاق ؛ فليسوا في الحقيقة مخالفين للسابقين من فقهاء مذاهبهم ، بل لو وجد الأئمة الأولون في عصر المتأخرين ، ورأوا اختلاف الزمان والأخلاق ، لعدلوا إلى ما قال المتأخرون .

وعلى هذا الأساس أسست القاعدة الفقهية القائلة : « لا يُفكَّرُ تَغْيِيرُ الْأَحْكَامِ بِتَغْيِيرِ الْأَزْمَانِ » .

وقد اتفقت كلمة فقهاء المذاهب على أن الأحكام التي تتبدل بتبدل الزمان وأخلاق الناس هي الأحكام الاجتهادية من قياسية ومصلحية : أي التي قررها الاجتهاد بناء على القياس أو على دواعي المصلحة ، وهي المعنية بالقاعدة الآتفة الذكر .

أما الأحكام الأساسية التي جاءت الشريعة لتأسيسها وتوطيدها بنصوصها الأصلية الآمرة الناهية ، حرمة المحرمات المطلقة ، وكوجوب التراضي في العقود ، والتزام الإنسان بمقدمه ، وضمان الضرر الذي يلحقه بغيره ، وسريان إقراره على نفسه دون

غيره ، ووجوب منع الأذى وقع الإجماع ، وسد الذرائع إلى الفساد ، وحماية الحقوق ، ومسئولية كل مكلف عن عمله وتقصيره ، وعدم مؤاخذه برىء بذنب غيره ، إلى غير ذلك من الأحكام والمبادئ الشرعية الثابتة التي جاءت الشريعة لتأسيسها ومقاومة خلافها ، فهذه لا تتبدل بتبدل الأزمان ، بل هي الأصول التي جاءت بها الشريعة لإصلاح الأزمان والأجيال ، ولكن وسائل تحقيقها وأساليب تطبيقها قد تتبدل باختلاف الأزمنة والمحدثات .

فوسيلة حماية الحقوق مثلاً وهو القضاء كانت محاكمه تقوم على أسلوب القاضى الفرد ، وقضاؤه على درجة واحدة قطعية ، فيمكن أن تتبدل إلى أسلوب محكمة الجماعة ، وتعدد درجات المحاكم بحسب المصلحة الزمنية التي أصبحت تقتضى زيادة الاحتياط لفساد الذمم .

فالحقيقة أن الأحكام الشرعية التي تتبدل بتبدل الزمان مهما تغيرت بتغيره فإن المبدأ الشرعى فيها واحد ، وهو إحقاق الحق ، وجلب المصالح ودرء المفاسد . وما تبدل الأحكام إلا بتبدل الوسائل والأساليب الموصلة إلى غاية الشارع ؛ فإن تلك الوسائل والأساليب فى الغالب لم تحددها الشريعة الإسلامية ، لكي يختار منها فى كل زمان ما هو أصح فى التنظيم نتاجاً ، وأنجح فى التقويم علاجاً .

عوامل تغير الزمان نوحان : فساد وتطور

فقد يكون تغير الزمان الموجب لتبديل الأحكام الفقهية الاجتهادية ناشئاً عن فساد الأخلاق وفقدان الورع وضعف الوازع . مما يسمونه : فساد الزمان .

وقد يكون ناشئاً عن حدوث أوضاع تنظيمية ووسائل زمنية جديدة ، من أوامر قانونية مصلحة ، وترتيبات إدارية ، وأساليب اقتصادية ، ونحو ذلك .

وهذا النوع الثانى أيضاً كالأول موجب لتغير الأحكام الفقهية الاجتهادية المقررة قبله إذا أصبحت لا تتلاءم معه ، لأنها تصبح عندئذ عبثاً أو ضرراً ، والشريعة منزهة عن ذلك ؛ وأنه لا عبث فى الشريعة كما قال الشاطبى فى الموافقات . وسنبين فيما يلى أمثلة لتغير الأحكام لتغير الأزمان بنوعيه .

أولاً : تغير الأحكام الاجتهادية لفساد الزمان :

فن المسائل التي غير الفقهاء المتأخرون أحكامها التي قررها اجتهاد الأئمة الأولين ،
وعملوا ذلك بفساد الزمان : أي بفساد الأخلاق العامة ، القضايا التالية :

(١) من المقرر في أصل المذهب الحنفي أن الديون تتعلق بذمة الشخص ، فتبقى
أموال الدين حرة ينفذ تصرفه فيها ، ولو كانت ديونه أكثر من أمواله ، فلو وقف
المدين غير المحجور عليه أمواله كلها نفذ وقفه فيها ولم يبق للدائن ما يستوفون . وهذا هو
الحكم القياسي في أصل المذهب .

فلما فسدت ذمم الناس وضعف حرصهم على أداء الحقوق أصبح المدين يلجأ إلى
تهريب أمواله من وجه الدائنين عن طريق وقفها على نفسه وذريته ثم على جهة خيرية .
فلما لحظ المتأخرون من فقهاء المذهب ذلك ، أفنى المولى أبو السمود مفتي الروم
بعدم نفاذ وقف المدين إلا فيما يزيد عن وفاء الدين من أمواله ، خلافاً للأصل القياسي
في المذهب ، واستصدر بذلك أمراً سلطانياً وسجله في « معروضاته » وأقره فقهاء
عصره ومن بعدهم^(١) .

ومن الواضح أن هذا التدبير الفقهي الذي لجأ إليه فقهاء الحنفية المتأخرون
في صيانة حقوق الدائنين لا يختص بوقف الدين ، بل إذا شاع لجوء المدينين إلى
تهريب أموالهم من وجه الدائنين بتصرفات أخرى غير الوقف ، كالبيع والهبة كما
في زماننا اليوم ، فإنه يفتى أيضاً بعدم نفاذها ، ويحق للدائنين أن يطلبوها إذا لم يجزوها
لأن العملة واحدة في الوقف وغيره . وإنما نصوا على الوقف لأنه الطريقة التي شاعت
إذ ذاك في تهريب المدينين أموالهم من وجه الدائنين . وبهذا التعميم على طريقة الوقف
وغيره من التصرفات تقضى نصوص المذهب الحنبلي خلافاً للأصل القياسي فيه أيضاً .
(ب) في أصل المذهب الحنفي أن الغاصب لا يضمن قيمة منافع المنصوب عن

(١) أبو السمود هو محمد بن محمد الهادي من أهالي « اسكيب » وهي قرية من نواحي
بلاد الروم ، ولذا يلقب : مفتي الروم . وتوفي سنة ٩٨٢ هـ ، وانتهت إليه رئاسة المذهب الحنفي
في عهد السلطانين سليم وسليمان . وكان المفتي العام للدولة العلية العثمانية وقاضى القسطنطينية
وبروسة . عاش محترماً معظماً مدة حياته . وكان يجتهد في بعض المسائل . وله آراء ائقرد بها وأخذ
بها فقهاء عصره فن بعدهم . وله شعر عربي جيد ، وتفسير للقرآن مشهور .

مدة النصب ، بل يضمن العين فقط إذا هلك أو تمييت ، لأن المنافع عندهم ليست متقومة في ذاتها ، وإنما تقوم بمقد الإجارة ، ولا عقد في النصب .

ولكن المتأخرين من فقهاء المذهب الحنفي نظروا تجرؤ الناس على النصب ، وضعف الوازع الديني في نفوسهم ، فأفتوا بتضمين الناصب أجر المثل عن منافع المنصوب إذا كان المنصوب مال وقف أو مال يتيم أو معداً للاستغلال ، على خلاف الأصل القياسي في المذهب ، زجراً للناس عن العدوان ، لفساد الزمان . وعلى هذا استقر العمل .

واستناداً إلى العلة نفسها تقبل قواعد الاجتهاد الحنفي مبدأ تضمين بدل منافع المنصوب مطلقاً في جميع الأموال ، لافي هذه الأنواع الثلاثة فقط ، لازدياد فساد الذم ، وكثرة الطمع في أموال الغير ، والتجاوز على الحقوق .

وهذا التعميم في تضمين المنافع توجيه النصوص القانونية لدينا اليوم ، وفيه المصلحة .
(ح) في أصل المذهب الحنفي أن الزوجة إذا قبضت معجل مهرها تلزم بمتابعة زوجها حيث شاء .

ولكن المتأخرين لحظوا انقلاب الأخلاق وغلبة الجور ، وأن كثيراً من الرجال يسافرون بزوجاتهم إلى بلاد نائية ليس لمن فيها أهل ولا نصير ، فيسيئون معاملتهن ويجورون عليهن ؛ فأفتى المتأخرون بأن لا تجبر المرأة على متابعة زوجها ، ولو قبضت معجل مهرها ، إلى مكان إلا إذا كان وطنها لها ، وقد جرى فيه عقد الزواج بينهما ؛ وذلك لفساد الزمان وأخلاق الناس . وعلى هذا استقرت الفتوى والقضاء في المذهب .

(د) في أصل المذهب الحنفي وغيره أن القاضي يقضى بعلمه الشخصي في الحوادث : أي أن علمه بالوقائع المتنازع فيها يصلح مستنداً لقضائه ويفني المدعى عن إثبات مدعاه بالبينة ، فيسكون علم القاضي بواقع الحال هو البينة . وفي ذلك أفضية مأثورة عن عمر وغيره . لكن لوحظ فيما بعد أن القضاة قد غلب عليهم الفساد والسوء وأخذ الرشاء ، ولم يعد يختار للقضاء الأوفر ثمة وعفة وكفاية ، بل الأكثر ترلفاً إلى الولاة ، وسمياً في استرضائهم ، وإلحافاً في الطلب .

لذلك أفتى المتأخرون بأن لا يصح أن يقضى القاضي بعلمه الشخصي في الوقائع ،

بل لابد أن يستند قضاؤه إلى البينات المثبتة في مجلس القضاء . حتى لو شاهد القاضى بنفسه عقداً أو قرضاً أو واقعة بين اثنين خارج مجلس القضاء ، ثم ادعى بها أحدهما وجعلها الآخر فليس للقاضى أن يقضى للمدعى بلا بينة ؛ إذ لو ساغ ذلك بعد ما فسدت ذم كثير من القضاة لزعموا العلم بالوقائع زوراً وميلاً مع الأقوى وسيلة من الخصمين ، فهذا المنع ، وإن ضاع بعض الحقوق لفقدان الإثبات ، يدفع باطل كثير . وهكذا استقر عمل المتأخرين على عدم نفاذ قضاء القاضى بعلمه .

على أن للقاضى أن يعتمد علمه في غير القضاء من أمور الحسبة والتدابير الإدارية الاحتياطية كما لو علم بينونة امرأة مع استمرار الخلطة بينها وبين زوجها ، أو علم بنصب مال ، فإن له أن يحول بين الرجل ومطلقة ، وأن يضع المال المنصوب عند أمين إلى حين الإثبات .

(هـ) من المبادئ المقررة في أصل المذهب أن العمل الواجب على شخص شرعاً لا يصح استتجاره فيه ولا يجوز له أخذ أجره عليه .

وعلى هذا لو امتنع الفاسب عن رد المنصوب إلى مكان النصب إلا بأجرة ، فدفعها له المنصوب منه لا يستحقها ، بل له استردادها منه ، ولو امتنعت الزوجة عن القيام بالعمل الواجب عليها شرعاً ضمن البيت فاستأجرها لأجله الزوج لا تستحق الأجرة ، ومن فروع هذا المبدأ الفقهي أن القيام بالمعابد والأعمال الدينية الواجبة ، كالإمامة وخطبة الجمعة وتعليم القرآن والعلم ، لا يجوز أخذ الأجرة عليها في أصل المذهب ، بل على المقتدر أن يقوم بذلك مجاناً لأنه واجب ديني .

غير أن المتأخرين من فقهاء المذهب لحظوا قعود المهم عن هذه الواجبات ، وانقطاع الجرايات من بيت المال عن العلماء مما اضطرهم إلى التماس الكسب ، حتى أصبح القيام بهذه الواجبات غير مضمون إلا بالأجر ؛ لذلك أفتى المتأخرون بجواز أخذ الأجور عليها ، حرصاً على تعليم القرآن ونشر العلم وإقامة الشعائر الدينية بين الناس .

(و) إن الشهود الذين يقضى بشهادتهم في الحوادث يجب أن يكونوا عدولاً : أى ثقات ، وهم المحافظون على الواجبات الدينية ، المعروفون بالصدق والأمانة . وعدالة الشهود شريطة اشتراطها القرآن وأيديها السنة ، وأجمع عليها فقهاء الإسلام .

غير أن المتأخرين من فقهاءنا لحظوا ندرة العدالة الكاملة التي فُسرَت بها النصوص ، لفساد الزمان وضعف الذم والحس الديني الوازع ، فإذا تطلب القضاء دائماً نصاب العدالة الشرعية في الشهود ضاعت الحقوق لامتناع الإثبات ، فلذا أفتوا بقبول شهادة الأمثل فالأمثل من القوم حيث تقل العدالة الكاملة .

ومعنى الأمثل فالأمثل : الأحسن فالأحسن حالا بين الموجودين ، ولو كان في ذاته غير كامل العدالة بمحدها الشرعي ، أي أنهم تنازلوا عن اشتراط العدالة المطلقة إلى العدالة النسبية .

(ز) كذلك أفتى المتأخرون في إثبات الأهلة لصيام رمضان وللعديد بقبول رؤية شخصين ، ولو لم يكن في السماء علة تمنع الرؤية من غيم أو ضباب أو غبار ، بعد أن كان في أصل المذهب الحنفي لا يثبت إهلال الهلال عند صفاء السماء إلا برؤية جمع عظيم ، لأن معظم الناس يلتمسون الرؤية ، فانفراد اثنين بادعاء الرؤية مظنة النلط أو الشبهة .

وقد علل المتأخرون قبول رؤية الاثنين بعمود هم الناس عن التماس رؤية الهلال ، فلم تبق رؤية اثنين منهم مظنة النلط إذا لم يكن في شهادتهما شبهة أو تهمة تدعو إلى الشك والريبة .

هذه أمثلة قليلة من كثير من المسائل التي تغيرت فيها الآراء الفقهية والفتاوى وعمل القضاء ، لا لاختلاف في الأنظار والمبادئ الفقهية التي بنيت عليها الأحكام الأولى ، بل بسبب : تنير الزمان أو فساد الأخلاق العامة ، كعمود الهمم عن الواجبات ، وفساد الذم في المعاملات ، وفشو الظلم ، وضعف الوازع الديني عن أكل الحقوق بالباطل الخ .

ثانياً : تنير الأحكام الاجتهادية لتطور الوسائل والأوضاع :

١ - قبل إنشاء السجلات العقارية الرسمية التي تحدد المقارات وتعطى كلا منها رقفاً خاصاً ، كان التماقد على المقار النائب عن مجلس المقد لا بد لصحته من ذكر حدود المقار : أي ما يلاصقه من الجهات الأربع ، لتمييز المقار المقود عليه عن غيره ، وفقاً لما تقضى به القواعد العامة من معلومية محل المقد .

ولكن بعد إنشاء السجلات العقارية في كثير من الممالك والبلدان اليوم أصبح يكتب في قانوننا في العقود بذكر رقم محضر العقار دون ذكر حدوده .

وهذا ما يوجب به فقه الشريعة ، لأن الأوضاع والتنظيمات الزمنية أوجدت وسيلة جديدة أسهل وأتم تمينا وتميزا للعقار من ذكر الحدود في العقود العقارية ؛ فأصبح اشتراط ذكر الحدود عبثا ، وقد قدمنا أن لا عبث في الشريعة .

٢ - وكذلك كان تسليم العقار المبيع إلى المشتري لا يتم إلا بتفريغ العقار وتسليمه فعلا إلى المشتري ، أو تمكينه منه بتسليم مفتاحه ونحو ذلك . فإذا لم يتم هذا التسليم يبقى العقار ممتبرا في يد البائع ، فيكون هلاكه على ضمانه ومسئوليته وفقا للأحكام العامة الفقهية في المبيع قبل التسليم .

ولكن بعد وجود الأحكام القانونية التي تخضع العقود العقارية للتسجيل في السجل العقاري استقر الاجتهاد القضائي أخيرا لدينا على اعتبار التسليم حاصلا بمجرد تسجيل العقد في السجل العقاري . فمن هذا التاريخ ينتقل ضمان هلاك المبيع من عهدة البائع إلى عهدة المشتري ؛ لأن تسجيل المبيع فيه تمكين للمشتري أكثر مما في التسليم الفعلي ، إذ العبء في الملكية العقارية قانونا لقيود السجل العقاري لا للأبدى والتصرفات . وتسجيل المبيع لم يبق البائع متمكنا أن يتصرف في العقار المبيع بعقد آخر استنادا إلى وجوده في يده ، وجميع حقوق الدعاوى المتفرعة عن الملكية ، كطلب نزع اليد وغير ذلك ، تنتقل إلى المشتري بمجرد التسجيل .

فبناء على ذلك يصبح من الضروري في فقه الشريعة أن يعتبر لتسجيل العقد العقاري حكم التسليم الفعلي للعقار في ظل هذه الأوضاع القانونية التنظيمية الجديدة . فمن مجموع هذه الأمثلة وأشباهاها يتضح أن قضية تغير الأحكام لتغير الزمان لا يصح أن تعتبر من صميم نظرية العرف كما يعتبرها بعض الباحثين ، بل هي من نظرية المصالح المرسلة ، فإن قعود المهم ، وفساد الذمم ، وقلة الورع ، وكثرة الطمع ، والمستجدات الجديدة ، ليست أعرافا يمارفها الناس ويننون عليها أعمالهم ومعاملاتهم ؛ وإنما هي انحلال في الأخلاق يضعف الثقة ، أو اختلاف في وسائل التنظيم الزماني . وكل ذلك يحمل الأحكام التي أسسها الاجتهاد في ظروف مختلفة عن الظروف الجديدة

غير صالحة لتحقيق الغاية الشرعية من تطبيقها ، فيجب أن تتغير إلى الشكل الذي يتناسب مع الأوضاع القائمة ، وبحق الغاية الشرعية من الحكم الأصلي .
وذلك نظير السفينة الشراعية التي تقصد اتجاهها معيناً في ريح شمالية مثلاً ، فإن شراعها يقام على شكل يسير بالسفينة في الاتجاه المطلوب ؛ فإذا انحرف مهب الريح وجب تعديل وضع الشراع إلى شكل يضمن سير السفينة في اتجاهها المقصود وإلا انحرفت أو توقفت .

وقد قال العلامة ابن عابدين رحمه الله في رسالته (نشر العرف) ما نصه : —
« كثير من الأحكام تختلف باختلاف الأزمان ، لتغير عرف أهله ، أو لحدوث ضرورة ، أو لفساد أهل الزمان ، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولاً للزم منه المشقة والضرر بالناس ، وخالف قواعد الشريعة المبينة على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد . ولهذا نرى مشايخ المذهب خالفوا ما نص عليه المجتهد في مواضع كثيرة بناها على ما كان في زمنه ، لعلمهم بأنه لو كان في زمنهم لقال بما قالوا به أخذاً من قواعد مذهبه » اهـ .

وقال الشهاب القرافي أيضاً في (الفروق) ، تحت الفرق ٢٨ / المسألة الثالثة ج ١ ص ١٧٧ / ما نصه :
« الجود على المقولات أبداً ضلال في الدين ، وجهل بمقاصد علماء المسلمين ، والسلف الماضين » اهـ .

ويقول ابن القيم رحمه الله في فصل (تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والموائد) :

« هذا فصل عظيم النفع جداً ، وقد وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل إليه ، ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لاتأني به ؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المأاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها : فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ^(١) .

(١) (ر : لإعلام الموقعين طبعة المتبرية ج ٣ ص ١ / وطبعة فرج الله زكي السكردى ج ٣ ص ٢٧) .

غلام الرياض !

خرجنا (١) بمد مصر في جولة نتعرف بها على معالم مدينة الرياض ، ومدينة الرياض مدينة قائمة في الصحراء . . . الصحراء اللامعة الشاسعة من كل نواحيها ، وبدعشك مع ذلك أن تراها مدينة حبة ناشطة ، وأن ترى عمرانها يمتد من كل أطرافها ، ويظهر لك مايفعله السلطان والمال ، وما جبل عليه الإنسان من قدرة على التعمير حين تحفره الرغبة وتتهيا أسباب العمران ، وتجد في ذلك تفسيراً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسدق الأسماء حارث وحام » . وبيننا نحن في جولتنا ، إذا بغلام لا يكاد يعدو السابعة عشرة يقبل علينا ، وبالي السلام كأنه يعرفنا ، فأقبلت عليه وقد انترح له صدرى . . . وسألته من أنت ؟ فذكر اسمه ، فسألته هل تعرفنا ؟ قال : لا . من أنت ؟ قلت له : هل تسمع بالإخوان المسلمين ؟ قال طبعاً ! قلت فأين هم ؟ قال : في مصر وفي كل مكان ! قلت : فهذا هو مرشدكم العام - وأشارت إلى فضيلته - وهذا الأستاذ صالح أبو رقيق ، وهذا الأستاذ أسامة الهضبي من الإخوان . . . قال أهلاً وسهلاً ، لقد وجدت قلبى هكذا منجذباً إليكم دون أن أعرف السبب . . . قالوا وعيناه تألقان ، ووجهه ينضج عاطفه ؟ ولقد والله خفق قلبى وأنا اسمه وأنظر إليه . . . ثم تركنا وهو يلفت إلينا ، كأن هذه اللحظات قد وصلتنا برباط قدم ، وهى كذلك ، فالأرواح جنود محنودة ماتعارف منها اثنتان .

ترى لو أنك طفت أقطار أوروبا وأمريكا ، أظنك تستطيع في غمرة حضارتها الصاخبة وعمرانها المارد أن تلتقي بمثل هذا الغلام ؟
أو يستطيع المالمون بسماعة الإنسان أن يجدوها على الأرض بدون عاطفة رقيقة كماطفة هذا الغلام ؟ !

أما أنت يا غلام الرياض فإن الشعاع الرائق الذى تألفت به عينك لا يزال يرف في قلبى الجريح . وبه وبمثله من الوجوه العذبة المؤمنة ، في كل مكان ، سنقلب بإذن الله كل صعب ، وسيشق النور طريقه بين الصخر والطين !!

(١) في رحلة إلى الرياض سعدت بها مع فضيلة المرشد العام للأخوان المسلمين .

بَيْنَ الصُّورَةِ وَالْحَقِيقَةِ

لسماحة الأستاذ السيد أبي الحسن الندوى^(١)

وكيل ندوة العلماء بالهند

إنَّ كلَّ شيءٍ له صورةٌ وحقيقةٌ، وبينهما فرق كبيرٌ رغم الشبه العظيم، يُميز بينهما بسهولة في الحياة، وتعامل الحقيقة بما لا تعامل به الصورة. وأضرب لذلك مثلين: هذه مثلُ الثَّمارِ مصنوعة من الخِزفِ تتراعى للناظر كأنها تفَاحٌ ورمَّانٌ وعنبٌ وموزٌ وبرتقالٌ في لونها وشكلها، ولكن أين الصورة من الحقيقة وأين طعم هذه الثَّمارِ ورائحتها؟ إنها ليست إلا للزَّينة أو المثل.

إننا نرى في المتحف كل نوع من السَّباع والأَنْعام والطيور الجميلة والمصافير الصَّغيرة، ففيها الأسد والثَّنايب، والأفيال والدُّباب، وفيها كل طائر جارح وكل سبعٍ مخيف، ولكنها جثث هامدة لا حراكَ بها، وأجساد ميتة محشوة بالليف والقطن ليس فيها رمق من حياة وقوة تهجم بها وتصول، حتى لا تحس منها من أحد ولا تسمع لها ركزا.

إن الصورة لا تستطيع أن تسد مكان الحقيقة وتنب عنها، ولا يمكنها أن تمثل دور الحقيقة في الحياة وتأتي بما تأتي به من عمل ونشاط، ولا يمكن أن تقاوم الحقيقة وتكافحها، فإذا وقع صراع بينهما انهارت الصورة، ولا يمكنها أن تحتل عِبة الحقيقة. فإذا وكل أحد إلى الصورة وظيفه الحقيقة أو عول عليها في مهمة خاتته الصورة وخذلته أحوج ما يكون إليها.

والصورة ولو كانت مهينة هائلة، تغلب عليها الحقيقة ولو كانت ضعيفة متواضعة، لأن الحقيقة الحقيرة أقدر وأقوى من الصورة العظيمة المهينة: وإن الولد يقدر أن

(١) ننشر هذا المقال القيم لسماحة الأستاذ أبي الحسن الندوى وقد تأخر وصول الملحق الثانية من سلسلة مقالات سماحته عن « مثنوى جلال الدين الرومي » ونأمل أن تصلنا في وقت تدرك معه طبع العدد التالي بإذن الله.

يسقط الأسد الميت المحشو بالليف والقطن بيده الضميفة الناحلة ؛ لأن الولد يحمل حقيقة ولو حقيقة صغيرة ، والأسد ليس إلا صورة ولو كانت صورة مهيبة .

إن هذا العالم الذى نميش فيه عالم الحقيقة والأمر الواقع . وقد خلق الله كل شئ . على حقيقة ، فللحال حقيقة وحبه فطرى طبعى ، ولأجل ذلك وردت عنه الأحكام ووضع الله فيه التأثير والجذب ، والأولاد حقيقة والحنان إليهم وحبهم فطرى ، ولأجل ذلك وردت الأحكام فى الشرع عن تربيتهم وتعليمهم ، وكذلك للحاجات الطبيعية والميول الفطرية حقيقة لا تجحد . ولا تغلب تلك الحقائق إلا حقيقة أقوى ورغبة أعظم وأشد .

إننا نحتاج إلى حقيقة الإسلام والإيمان للظفر على الحقائق البشوة فى العالم . أما صورة الإسلام فهى عاجزة عن أن تقهر هذه الحقائق وتنتصر عليها وإن كانت حقائق ممزوجة بالباطل ؛ لأن الصورة المجردة لا تنتصر على أى حقيقة .

ولذلك نرى اليوم بأعيننا أن صورة الإسلام أصبحت لا تغلب على الحقائق المادية الخفية ، لأن الصورة ولو كان ظاهرها مقدساً رائماً ليس لها سلطان وتأثير ، وإن صورة إسلامنا وصورة كلتنا وصلاتنا اليوم لا تقدر أن تغلب على عاداتنا الخفية وتقهر شهواتنا وتثبتنا على جادة الحق عند البلاء والامتحان .

إن الكلمة التى كانت من قبل ذات سلطان عجيب على القلوب والأرواح ، وكانت تهوّن على الناس ترك المألوفات وقهر الشهوات والشهادة فى سبيل الله وبذل الأرواح والأنفس لله واحتمال المكاره وتجرع المرائر فى سبيل الدين ، ها هى الآن عاجزة عن أن تحمل الناس على ترك فرشهم بعد أن استفرقوا فى النوم طول الليل ويقوموا لصلاة الفجر ! نعم ، الكلمة التى كانت تغلب على شهوة الخمر فتحول بين الإنسان وبين الكأس وهى على راحته فيمتنع من شربها لأن الدين يمنع من ذلك ، ولأن الكلمة تأبى عليه أن يقرب الحرام ، ها هى الآن قد أصبحت لا تملك أمراً ولا نهياً !

سرح طرفك فى تاريخ الإسلام وتجول فى فصوله وأوراقه يظهر لك أن كلمة الإسلام التى كان الصحابة وكان المسلمون فى القرون الأولى يتلفظون بها كانت ذات

حقيقة ثابتة ، وكانت كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . وكنتنا نحن ألقاظ مجردة ونطق فارغ ؛ ولأجل ذلك ترى عدم تأثيرها في حياة الأمة ، ثم إننا مع ذلك نحاول أن نطبق حياة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على حياتنا ونرجو أن تؤتي هذه الكلمة أكلها كل حين وتحديث ما أحدثت في الماضي ، حتى إذا لم يكن ذلك بطبيعة الحال تسائلنا وقلنا : ألسنا مسلمين ؟ ألسنا نصلي ونصوم ؟ ألا نتلفظ بكلمة الإسلام ونردد لها صباحاً ومساءً ؟ فلماذا هذا الفرق الهائل بين عهدنا وعهد الخلفاء الراشدين ؟ ولماذا هذا البون الشاسع بين حفظنا وحظهم ؟ وأين ثمرات شجرة الإيمان ، وأين نتائج الصلاة أو الصيام ، وأين ما وعد الله من النصر المبين والاستخلاف والتمكين ؟ !

لا نتحدثنا أنفسنا ، ولنعلم أنهم كانوا أصحاب جد وحقيقة الدين : لقد كانت كلمتهم حقيقة ، وكان إيمانهم حقيقة ، وكانت صلاتهم حقيقة ، ونحن متجردون عن هذه الحقائق ؛ فربما أن تثمر الصورة ما أثمرت الحقيقة وتغني عنها ، إنما هو وهم وخيال وضرب من المحال .

أما قرآنهم في التاريخ أن خبيبا رضى الله عنه رفعوه على الخشبة وتناولوه بالرماح والأسنة حتى تمزق جسمه وهو قائم لا يشكو ولا يئن فيقال له : آجب أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم مكانك ؟ فيضطرب ويقول : والله لا أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه !

يا أبناء الإسلام ! إن الذي ثبت في هذا المكان وألهمه أن ينطق بمثل هذه الكلمة العريقة في حب الرسول هل هي صورة الإسلام ؟ لا بل هي حقيقته التي مثلت بين عينيه الجنة والرماح تنوشه وتميت بجسمه وناجته وقالت : صبرا ، يا خبيب ! فما هي إلا لحات وثوان ، وما هي الجنة تنتظرك ورحمة الله ترتقبك ؟ فإذا احتملت آلام هذا الجسد الفاني والحياة الرائلة العابرة نلت السعادة الدائمة والحياة الباقية .

هذه هي اللذة الروحية وحقيقة الحب والإيمان التي أبت على خبيب أن يطلق ويؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشوكة في قدمه . فهل تستطيع الصورة أن

تحمل صاحبها على هذا الإخلاص والتفاني والثبات على العقيدة والصبر على الموت ؟ كلا ! إن الصورة لا تستطيع أن تقاوم الشدائد والآلام بل حتى الخيالات والأوهام . وقد بدا لنا ذلك في الاضطرابات الطائفية الماضية في الهند ؛ فإن أناساً من المسلمين قد غيروا صورة الإسلام خوفاً مما مر بخاطرهم من الفزع وخشية الموت وما دار في رؤوسهم من معارك خيالية حامية ، واختاروا شعار الكفر ؛ وذلك لأن هؤلاء الناس قد كانوا متحليين بالصورة فارغين عن الحقيقة .

هاجر سيدنا صهيب رضى الله عنه فلما كان في الطريق اعترضته جماعة من مشركي مكة وقالوا له : أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكفر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك ! وهناك قامت المركة بين حقيقة الإسلام وحقيقة المال ودارت بينهما رحى الحرب ، فانتصرت حقيقة الإسلام على ضدها وقال لهم صهيب : أرايتم إن جعلت لكم مالى أنتمولون سبيلى ؟ قالوا : نعم ! قال : فإنى قد جعلت لكم مالى^(١) ، وهكذا انطلق صهيب بدينه متجرداً من ماله فرحاً مسروراً كأنه لم يفقد شيئاً ولم يخسر شيئاً .

وخرج سيدنا أبو سلمة بزوجه وابنه يريد المدينة فلما رآه رجال من بني المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرايت صاحبتنا هذه علام تترك تسير بها في البلاد ، وتزعوا خطام البعير من يده وأخذوها منه ، وأخذ بنو عبد الأسد سلمة ولده الصغير^(٢) ، هناك اصطدمت حقيقة الإسلام بحب الزوج والولد فالبنت أن انتصرت عليه ، وغادر أبو سلمة زوجه وولده تحت رعاية الله وهاجر وحيداً . هل الصورة تستطيع ذلك ؟ وهل يقدر أصحابها على ترك الزوجات والأولاد في سبيل العقيدة والدين ؟ كلا ، بل سمعنا أن أناساً قد ارتدوا عن دينهم للمال والأزواج والأولاد وغير ذلك من متع الدنيا وزخارفها .

كان أبو طلحة مقبلاً على صلاته فإذا طائر يدخل في بستانه ثم لا يجد الطريق

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢١ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٢ .

للخروج ويميل إليه قلب أبي طلحة ، فلما انصرف من صلاته تصدق بهذا البستان ، لأنه لا يحب أن يشغله شيء عن حقيقة صلاته وينازع قلبه !

إن للبستان حقيقة ولثمره وأكله حقيقة ، ولا تغلب هذه الحقائق إلا حقيقة الإسلام ، وإن صلاتنا اليوم مجردة عن الحقيقة ولذلك لا تقدر أن تقاوم أدنى الحقائق المادية .

لقد كان في حرب اليرموك بضعة آلاف من المسلمين وأما الروم فقد كان عددهم يبلغ خمس مائة ألف أو يزيد ، فإذا نصراني كان يقاتل تحت لواء المسلمين يقول : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فيقول خالد رضى الله عنه : والله لوددت أن الأشقر يرا من توجعه وأنهم أضعفوا في العدد^(١) .

بم كان خالد رضى الله عنه مطمئناً ، ولم لم يشغل خاطره هذا العدد الهائل ؟ ولم لم تكبر في عينه جنود الروم الكثيفة ؟ ذلك لأنه كان مؤمناً بالله واثقاً بنصره ، ولأنه كان يعلم أنه على حقيقة ، وأن مقابله صورة فحسب ، وأن الروم صورة فارغة عن الحقيقة ، وكان يعتقد أن الصورة مهما كثرت لا تقدر أن تقاوم حقيقة الإسلام . لا شك أننا نتلفظ بكلمة الشهادة والتوحيد ومنا من يعرف ما يقول ، ولكن الصورة شيء والحقيقة شيء آخر . إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين الصادقين كانوا على حقيقة هذه الشهادة ، فإذا قالوا : لا إله إلا الله اعتقدوا أنه لا إله غيره ولا رب غيره ولا رازق غيره ولا نافع ولا ضار إلا هو ، له الملك والحكم والخلق والأمر ويده مذكوت كل شيء ، يحير ولا يجار عليه ، وأخلصوا له الحب والخوف والسؤال والرجاء والعبادة والدعاء ، وأصبحوا عباداً خففاء شجيمان أقوياء لا يهابون العدو ولا يخافون الموت ولا يبالون بلومة لأئمتهم .

نرجع إلى أنفسنا ونفكر هل هذه الحقيقة متغلغلة في أحشائنا ومتسربة في عروقنا وشرائبننا ، وهل غرس حياتنا يسقى بهذا الماء ؟ إنا نخاف أن لا يكون الأمر كذلك ، وأن نصيب الصورة في حياتنا أكثر من أن نصيب الحقيقة ؛ وذلك موضع الضعف في حياتنا وسر شقائنا ومصائبنا .

(١) الأشقر فرس خالد وكان قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق (البداية والنهاية ج ٧ ص ٩)

إننا جميعاً نؤمن أن الآخرة حق والجنة حق والنار حق والبعث بعد الموت حق، ولكن هل إننا حاملون لحقيقة الإيمان كأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان . وقد سمعنا أن أحدهم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ، فرمى بما معه من التمر وقال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، وقاتلهم حتى قتل ؛ لأن الجنة كانت عنده حقيقة لا يشك فيها . فمن أيقن بقول كأنس بن النضر إني لأجد ريح الجنة من دون أحد . أتى رجل من المسلمين يوم اليرموك وقال للأمرئ : إني قد تهيأت لأمرى فهل لك من حاجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ! تقرئه عنى السلام وتقول : يارسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً .

أفيقول هذا إلا من يوقن أنه مقتول في سبيل الله وملاق رسول الله ومجتمع به في نعمة الله وأنه مكلمه ومحدثه ؟ فإذا حصل لرجل مثل هذا اليقين فما الذي يمنه من استقبال الموت ، وما الذي يحول بينه وبين الشهادة ؟

إن أكبر انقلاب وقع في تاريخ هذه الأمة هو أن الصورة احتلت مكان الحقيقة ، واستولت على حياة الأمة وذلك من عهد بعيد في التاريخ . والذين كانوا يرون الصورة من بعيد يعتقدون أنها الحقيقة ولذلك يذعرون ويشفقون من قربها ، فكانت هذه الصورة الإسلامية كجدار ينصبه الفلاح في حقله كيلا يحل فيه الطير والوحش ، ولا تزال الطيور والوحش تظن أنه إنسان أو حارس فلا تقربه حتى يتشجع غراب ذكي أو حيوان جرى . فيجد أنه ليس بشيء ، هنالك تدخل الطيور والوحش في هذا الحقل وتعيش فيه وتتلذذ زرعه . قد وقع للمسلمين نفس الحادث ، لقد حرستهم صورة الإسلام مدة طويلة جداً ، فلم تجترى عليهم أمم العالم ولم يدُر بخلد أحد أن يمتحن هذا الشبح الخفيف ويتحققه ، ولكن حتى متى ؟ لما أغار التتار على بغداد افتضح المسلمون وظهر إفلاسهم في الروح والقوة المعنوية . من ذلك الحين أصبحت الصورة عاجزة عن أن تحافظ عليهم وتذود عنهم المكروه وتدفع عنهم غارات الأمم ، فإن الصورة لا تقوم إلا على الجهل والغرور ، فإذا انكشف الغطاء وزاح الستار تبين الصبح لدى عيني . وإن ما نرى ونقرأ في تاريخ الإسلام من أخبار انكسار المسلمين وهزيمتهم

في ميادين القتال إن كل ذلك أخبار انحذال الصورة وفضيحتها لاغير ؛ وقد فضحتنا الصورة في كل معركة وحرب ومقاومة واصطدام . . ولكن الذنب علينا لأننا حملنا عبء الحقيقة على ظهر الصورة فلم تستطع حمله ولم تمسكه ، وعقدنا الآمال الكبار بالصورة الضعيفة فغيبت رجاءنا وكذبت أمانتنا وخذلتنا في الميدان .

تكرر الصراع بين صورة الإسلام وشعوب العالم وجنودها ، وفي كل مرة تنخذل وتهزم الصورة ويعتقد الناس أنه هزيمة الإسلام وخذلانه ؛ وبذلك هان الإسلام في عيون الناس وزالت مهابته عن القلوب ، ولا يدري الناس أن حقيقة الإسلام لم تتقدم إلى ساحة الحرب منذ زمن طويل ولم تنازل أمم العالم ، وأن الذي يبرز في الميدان هو صورة الإسلام لا حقيقته ، وخلق بالصورة أن تهزم وتضعحل أمام الواقع والأمر الجد .

هاجمت بعض الدول الأوروبية في الحرب الأولى تركيا الإسلامية ، تركيا التي أرعبت أوروبا كلها وهزمت دولها مرة بعد مرة ، وكانت تركيا في هذه المرة حاملة لصورة شاذة للإسلام وقد فقدت شيئاً كثيراً من حقيقة الإيمان ؛ ففشلت في المقاومة ؛ وفقدت كثيراً من ممتلكاتها .

واجتمع سبع دول عربية لمحاربة الصهيونية في فلسطين ، وكانت هذه الدول العربية علية الروح وقد أطفأت المادية الأوروبية جرة القلوب وشعلة الجهاد في سبيل الله وحبيت إليها الحياة واللذات ، ثم إنها تتخلف تخلفاً كبيراً في المعدات الحربية والتنظيمات العصرية ، فكانت الحرب بين العرب المسلمين واليهود الصهيونيين صراعاً بين صورة الإسلام وحقيقة القوة والتنظيم والحماسة ؛ فكانت نتيجة هذه الحرب نتيجة كل صراع بين الصورة والقوة .

إن الصورة لها منزلة ومكانة عند الله تعالى ، لأنه قد عاشت فيها الحقيقة قروناً طويلة ، ويحبها الله لأنها صورة أوليائه ومحبيه ، وكذلك نعرف لها الفضل ، لأن الانتقال من صورة الإسلام إلى حقيقة الإيمان أسهل بكثير من الانتقال من حقيقة الكفر أو صورته إلى حقيقة الإيمان والإسلام ؛ فلنحافظ على هذه الصورة ولنتمسك بها ، ولكن لا نبني أن نقنع بها ونستهين بالحقيقة والروح .

إن وعد الله من النصر والفتح في الدنيا والنجاة والغفران في الآخرة ، كل ذلك محصور في حقيقة الإسلام وذلك قوله تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » لا شك أن الخطاب في هذه الآية للمسلمين ومع ذلك اشترط الإيمان للعزة في الأرض والعلو والشوكة ، وقال في موضع آخر : « إنا لننصرُ رُسُلَنَا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويومَ يقومُ الأنهَادُ » وقال أيضاً : « وعد الله الذين آمنوا مِنكم وعملوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » . ورغم أن جميع تلك الوعود كانت على أساس الإيمان والأعمال الصالحة اشترط أن يكون في المسلمين حقيقة الإيمان والتوحيد .

إن أكبر مهمة دينية في هذا العصر وأعظم خدمة وأجلها للأمة الإسلامية هي دعوة السواد الأعظم للأمة وأغلبيتها الساحقة إلى الانتقال من صورة الإسلام إلى حقيقة الإسلام ؛ فمثل هذا فليمعمل العاملون ويبدلوا جهودهم ومساءهم في بث روح الإسلام في جلم العالم الإسلامي ، ولا يدخروا في ذلك وسماً ؛ فبذلك يتحول شأن هذه الأمة وفي نتيجته شأن العالم بأسره ، فإن شأن العالم تبع لشأن هذه الأمة ، وشأن الأمة تبع لحقيقة الإسلام ؛ فإذا زالت حقيقة الإسلام من الأمة المسلمة فمن يدعو العالم إلى حقيقة الإسلام ومن ينفخ فيه الروح ؟ قال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لأصحابه : « أنتم ملح الأرض فإذا زالت ملحوحة الملح فماذا يملح الطعام ؟ » .

قد أصبحت حياتنا اليوم جسداً بلا روح لأن السواد الأعظم للأمة مجرد عن الروح فارغ عن الحقيقة ، فكيف يعود الروح والحقيقة في الحياة الإنسانية مرة أخرى ؟ !

إن في هذا العالم أمماً لا تزال فارغة عن الحقيقة والروح من أقدم المصور إلى يومنا هذا ، ولم يبق فيها إلا عدة معتقدات مرسومة وبضع صور حقيرة مجردة عن الروح ، وانتهت حياتها الدينية والروحية فلا يمكن لحركة أو شخصية ما أن تنفث فيها الحياة

الدينية والروحية الحقيقية من جديد ، حتى أن إنشاء أمة بأمرها أبسر من إصلاح هذه الأمم وتجديد حياتها الدينية والخلقية ، والذين نهضوا لإصلاحها وبدلوا قصارى جهدهم في هذا السبيل قد أخفقوا ولم يفلحوا في مهمتهم رغم الوسائل العظيمة الكثيرة التي حدثت في هذا العهد من الطبع والنشر والتأليف والإذاعة والتعليم والتربية وطرق الدعاية والتأثير ؛ وذلك لأن عروة دينها قد انفصمت انفصاماً تاماً ، وانقطعت علاقتها عن منبع الحياة الدينية والخلقية والروحية .

أما الأمة الإسلامية فلا تزال — على علاقتها وضمعتها — متمسكة استمساكاً ما بعروة الدين وهي الإيمان بالله والرسول واليقين بالدار الآخرة والحساب ، لم تتركها ألبتة ولم تنقطع عنها انقطاع الأمم الأخرى ؛ بل إن إيمان كثير من عامة المسلمين ودهائمهم يزري بإيمان كثير من خواص الأمم الأخرى وعليتهم ويفوقه متانة ورسوخاً وحماسة ، ثم إن كتابها لا يزال في يدها لم يتناوله التحريف ولم يميت به الماشون كما فعلوا بالصحف الأولى ، ولا تزال سيرة الرسول وأُسوة الحسنة بمتناول يدها ؛ فالدعوة إلى الدين ميسورة ، والتجديد ممكن ، والقلوب منهية ، وجرة الإيمان سريعة الانتقاد ، والشقة بين الصورة والحقيقة قصيرة ، والقنطرة بينهما الدعوة إلى تجديد الإيمان والرجوع إلى الدين والتشبع بروحه والتخلي بحقيقته .

لست قانطاً من ظهور حقيقة الإسلام في هذا العصر ، ولا نصديق أبداً بأن الزمان قد تغير والمسلمين قد ابتعدوا جداً عن روح الإسلام فلا أمل في حقيقة الإسلام وغلبتها من جديد . انظروا أيها المسلمون إلى ورائكم تروا جزر حقيقة الإسلام قائمة منتشرة في فجر التاريخ ، وإن الحقيقة لم تزل تطفو كلما رسبت وتظهر كلما اختفت ، وكلما ظهرت حقيقة الإسلام وتجلت في ناحية من نواحي العالم الإسلامي أو عصر من عصور التاريخ الإسلامي غلبت وانتصرت ، وكذبت تجارب الناس وقياسهم وتقديرهم ، وكادت الأحوال والأمور أن تعود إلى ما كانت عليه في الماضي السعيد ، وهبت على قلوب الناس نفحات القرن الأول . وإن حقيقة الإسلام في هذا العصر إذا ظهرت وتمثلت في جماعة تستطيع أن تذلل كل عقبة وتهزم كل قوة ، وتأتي بعجائب وآيات من الإيمان والشجاعة والإيثار يمجز الناس عن تعليلها كما عجزوا من قبل عن تعليل حوادث الفتح الإسلامي وأخبار القرن الأول ؟

الشرق لعزلى

من حرب عالمية إلى أخرى

للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

حتى نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ كان الشام بكل أقسامه والعراق والحجاز وسائر جزيرة العرب يكوّن الجزء الأكبر من الدولة العثمانية فى الشرق الأوسط ، وكانت قد مضت على هذه العلاقة أربعة قرون — أما مصر فكان المدوان البريطانى قد فصلها عن الدولة منذ عام ١٨٨٢ — ومن الخطأ أن يُظن أن علاقة الدولة بتلك الأقطار العربية كانت علاقة استعمار . فالواقع أن الدولة العثمانية كانت دولة « اتحادية » لا تقوم على أساس المصيبة الجنسية ، وإنما تقوم — إن صح التعبير — على المصيبة الدينية . لم يكن طابعها الحقيقى « تركياً » ولكن « عثمانياً » و فرق كبير بين الاثنين . فهى كانت متنوعة الأجناس ، وكان الباب مفتوحاً للعناصر غير التركية لتتولى كل الوظائف وتصل إلى أعلى مراتب الحكم . فكثير من ولايتها وقادتها وأمرائها وعلمائها كانوا بالفعل من عناصر عربية أو كردية أو مغربية أو بلقانية أو شركسية ، تجميعهم كلهم وحدة الدين والثقافة . أما فكرة المصيبة التركية فنشأتها حديثة : إذ كانت ترجع إلى حكم رجال « جمعية الاتحاد والترقى » بعد خلع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ ؛ وحين ظهرت هذه الفكرة أخذت الدولة فى الانهيار النهائى ؛ لأن الأساس الأول الذى تقوم عليه أخذ هؤلاء المتعصبون ينتزعونه من مكانه . ولم تلبث بعد ذلك إلا سنوات حتى قضى عليها إلى الأبد فى ظروف الحرب العالمية التى كشفت التصدع الذى أحدث فيها ، وأوجدت الفرص للعناصر الثائرة لتنتفض عليها .

فأقطار الشرق العربي - إذن - كانت مستقلة في حدود هذا الاتحاد : أى أنها كانت بريئة من الاستعمار ، خالية من التحكم والطفيان الأجنبي ، محتفظة بكرامتها ، شاعرة أنها آمنة على ثقافتها وسلامة تراثها الروحي ، مطمئنة إلى تحقق شخصياتها ؛ وهى إن خضعت للنظام كانت أولى من تعرف معائبه ومقاسده ، فهى كانت واثقة أنه يمثل استمرار تطورها التاريخي ، وفي وجوده إرضاء لوجدانها الديني ، وشعورها المشترك بوجوب التضامن لدفع العدوان الأوربي . وقد أدى هذا النظام واجبه خير أداء في عصور سابقة ، وهى كانت لا بد أن تعمل على إصلاحه بعد زمن قليل أو كثير .

كان هذا هو وضع الأقطار العربية - باستثناء مصر التى كانت أسرة محمد على قد حاولت أن تستقل بها ذاتيا ولكنها لم تستطع الدفاع عنها بل أسلمتها للأعداء - حين نشبت الحرب العالمية الأولى : فهى ما عرفت الاحتلال الأجنبي إلا قبل ستمائة عام ، أى منذ عهد الحروب الصليبية ؛ وقد أمكنها حينئذ أن تلقى بهؤلاء التعصبين الدينيين إلى البحر ؛ وإلا فى مناسبة الحملة الفرنسية الفاشلة التى قام بها نابليون فاستطاعت بعد قليل أن ترده وجيوشه مذهباً ومدحوراً . وما كان إيقاد نيران الحرب العالمية في ربوع الشرق من عمل هذه الأقطار ، وإنما كان الجناة المسئولون هم الأتراك رجال « جمعية الاتحاد والترقي » الذين زين لهم غرورهم ودفعمهم حقهم إلى الاشتراك في تلك الحرب - وما كانت إلا حرباً أوربية ، فأوربية أمريكية مدارها النزاع على الامبراطوريات والاستثمار بالمنافع الاقتصادية والسياسية - فأنجازوا إلى جانب ألمانيا ، وأعلنوا الحرب في أكتوبر عام ١٩١٤ على إنجلترا والروسيا وفرنسا ، فبذلك قاموا بدولتهم وأنفسهم والأقطار المرتبطة بهم ، مقاومة انتهت بتحطيم دولتهم وذهاب ربحهم ، ثم كان أواخر عواقب وثمر نتائج تلك المقاومة أنها أتاحت الفرصة للاستعمار - الاستعمار الأثيم المعتدى - ليثب على أقطار الشرق العربي الذى صدق عليه إذ ذاك قول الشاعر :

لم أكن من جناتها - علم الله - وإنى بحرّها اليوم صالى !

فيُفقد تلك الأقطار استقلالها وحريتها ، ويؤذى كرامتها ، ويستلب حقوقها وخيراتها ، ويحاول طمس شخصيتها ، ويهدد مستقبلها وحياتها !!! وجدت البلاد العربية نفسها على إثر قرار « الاتحاديين » على غير إرادة منها

ودون ذنب جنت - مشتبكة في تلك الحرب الطاحنة . وقد أرسل الأتراك جيوشهم مع القواد الألمان إلى الشام ليهاجموا إنجلترا في مصر ، وهبت هذه من جهتها تدافع عن القناة ومركزها ، فأصبح البلدان الشقيقتان ميداني حرب لقوتين متعاديتين . وكانت إنجلترا قد بادرت فحّت كل أثر لإرادة مصر ، ووضعتها تحت الحماية في ١٨ ديسمبر عام ١٩١٤ - منتهزة تلك الفرصة كمادتها لتحوّلها إلى مستعمرة تحكمها حكماً مباشراً - وفرضت عليها الأحكام العرفية ، وجندت عمالها بالرغم منهم ، وانتهبت مواشي الفلاح ومحاصيل زراعته ، واغتصبت ثروة البلاد في مقابل أوراق يصدرها البنك الخاضع لها ليس لها قيمة ، فأوجدت التضخم والفلاء ، وحجرت على كل الحريات واعتقلت الأحرار - وهذا كله سيؤدي إلى الانفجار ، فقيام الثورة المصرية المجيدة التي ستحدث في عام ١٩١٩ والتي ستغير تاريخ البلاد منذ وقوعها . كذلك حكم « جمال باشا » قائد جيش الأتراك الشام حكماً عسكرياً صارماً ، وجند الرجال ، وزاد الضرائب ، وصادر الحريات ، ثم نصب المشانق وأعدم ونفى عدداً كبيراً من كرام الوطنيين ، وكان من أقسى ما عاناه أهل البلاد اختلال الحالة الاقتصادية : فاشتد الفلاء وتدهور النقد ، ونحوت الحالة إلى مجاعة حتى قدر عدد من هلك من سكان لبنان بسبب المجاعة بنحو ثلث السكان . فكان قطر الشام كله في حالة شقاء وبؤس طوال سني الحرب لأمثل لها ! كذلك صار العراق ميدان حرب بين الجيوش التركية الألمانية تتقدم من بغداد والجيوش الإنكليزية من الخليج الفارسي إلى البصرة ، بين مد وجزر وكروفر ، مما أدى إلى الحصار الاقتصادي واضطراب الأحوال المعيشية ، فاشترك العراق أيضاً في الآلام التي سببتها أحداث الحرب .

كانت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) إذن محنة كبرى بالنسبة إلى الشرق العربي . ولكن الآلام التي تحملتها أقطاره والإجراءات الصارمة التي حُكمت بها في خلال سني الحرب ، لم تكن شيئاً بالقياس إلى ما كان يديره له المستعمرون ، وما كان مقدراً له أن يلاقى عقب انتهاء الحرب من جراء ذلك التدبير . ومما كان من شأنه أن يجعل تلك التدابير حين تظهر أوقع ألماً وأشدّ مضاضة أنها جاءت في صورة خيانة - على ما سنفسره بعد قليل - وأن الاتفاقات التي تآمرت

الدول على إرضائها لم تكن إلا تنفيذاً لسياسة الاستعمار الرجمي الذي كان من مميزات القرن التاسع عشر ، والذي ظن أن التنوير والتقدم الذي حدث في القرن العشرين قد قلَّ حدّه وكسر شيرته ، وأنها لم تكن ترى إلا إلى عدوان غانم ، سيصطحب — كما ستكشف الحوادث بعد حين — بأعمال الوحشية ومظاهر الهمجية وأساليب البربرية ، كما سيظهر من فرنسا في سورية ولبنان ، ومن إنجلترا في مصر والعراق وفلسطين ، ومهمهم أسدقاؤهم اليهود من شذاذ الآفاق ، مما هو جدير كله بالحضارة الأوربية في القرن العشرين . . . !

حدثت هذه المؤامرات في الوقت الذي كانت تمد فيه تلك الدول يدها إلى الشرق العربي ترجو معونته وتطلب صداقته : ذلك أن إنجلترا ممثلة لحليقاتها وقد وجدت نفسها في أوائل الحرب في مأزق ، وأحست بضعفها إزاء جيوش الأتراك ، وكانت تخشى إعلان الجهاد الديني الذي كان الأتراك يحثون رؤساء البلاد العربية على إعلانه ، رأت أنها لا يمكن أن تتفادى هذه الأخطار إلا إذا صادقت العرب وعقدت حلفاً مع زعمائهم . وكانت هناك اتصالات بينها وبين الشريف « حسين » أمير مكة وولديه عبد الله وفيصل ، إذ أن الأمير لم يكن على علاقات حسنة مع « الاتحاديين » . ففي الخطابات العديدة التي تبودلت بين الشريف وبين « هنري مكماهون » معتمد بريطانيا في مصر — وذلك في حلال سنة ١٩١٥ — أُعربت إنجلترا عن قبولها للمطالب التي كان يعرضها الحسين ، وتعمدت بالعمل على تأييدها وتحقيقها ؛ وهي تلخص في استقلال العرب ووحدتهم . وذلك بإنشاء دولة عربية متحدة تشمل جزيرة العرب ، والشام بما فيه فلسطين ، والعراق . وينادى به ملكاً عليها . ونتيجة لهذا الاتفاق خرج الشريف وأولاده على الدولة العلية وأعلنوا عليها الحرب (يونية عام ١٩١٦) وبعد أن كونوا جيشاً عربياً قوياً ظلوا إلى نهاية الحرب يساعدون إنجلترا وفرنسا في جهودهما الحربية لإزالة الهزيمة بالأتراك وإجلالهم عن الشام ، حتى تم ذلك . ولكن إنجلترا في نفس الوقت الذي كانت تتفق فيه مع الشريف كانت تتفاوض مع فرنسا وروسيا ، وتوصلت إلى عقد معاهدة (مايو عام ١٩١٦) هي التي عُرفت باسم معاهدة « سيكس — بيكو » نسبة إلى ممثلي إنجلترا وفرنسا اللذين عقداها ، اتفقت

فيها الدول الثلاث على اقتطاع أجزاء من تركيا وعلى تقسيم أقطار الشرق العربي بينها . وذلك على هذا الوجه : أن تأخذ روسيا القسطنطينية ومناطق حولها وأراضى على الضفة المقابلة في آسيا ؛ وأن تعطى فرنسا سورية ولبنان ، ثم ولاية الموصل شمال العراق أيضاً ؛ وأما إنجلترا فتأخذ الجزء الأكبر من فلسطين ، وبقية ولايات العراق إلى الجنوب ، وتجعل منطقة معينة حول القدس دولية . وأغرب منى أن هذه المعاهدة احتفظ بها سرية ، ولم تطلع الدول عليها « الحسين » حليفهم ، فلم يصله نبأ عنها إلا بعد أن خرجت روسيا من الحرب عقب ثورتها ، ونشرت حكومتها بعض الوثائق السرية عام ١٩١٨ . وكان أخطر اتفاق عقده بريطانيا في أثناء الحرب ، من تلك الاتفاقات التي جاءت مناقضة كل المناقضة لتعهداتها للشريف الحسين والعرب ، هو اتفاقها مع الصهيونيين . فقد استطاع « وايزمان » مؤيداً بروتشيلد والرأسماليين في أمريكا وإنجلترا أن يعقد اتفاقاً مع لويد جورج رئيس وزارة إنجلترا وبلفور وزير خارجيته ، تعهدت فيها إنجلترا أن تبذل أقصى ما تستطيع لتحقيق أمل اليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، وصدر بذلك تصريح « بلفور » الشهير في ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ .

جاءت إنجلترا هكذا عقب الحرب بهذه الاتفاقات الثلاث التي يناقض بل يصنع بعضها بعضاً ! وهذا هو مثال الشرف في المعاملات الدولية . يضاف إلى ذلك أن زعماء الحلفاء كانوا لا يفتأون في أوقات شدائد الحرب يرددون تصريحاتهم بأنهم إنما يحاربون من أجل تحقيق العدالة وضمان حريات الشعوب . وجمعت هذه التصريحات في المبادئ الأربعة عشر المعروفة التي أعلنها الرئيس الأمريكي « ولسن » في عام ١٩١٨ ، وكان من أهمها تقرير أن كل شعب ينبغي أن يعترف له بحق تقرير مصيره وأن العلاقات بين الدول يجب أن تقوم على التفاهم والتراضي لا على العنف والقوة . وقد كان لإعلان تلك المبادئ دوى وأثر كبير يفوق حد الوصف ، ولا سيما في الشرق الأوسط ، إذ اعتقدت الشعوب صدقها في ذلك الوقت ، وترقبوا بزوغ عهد جديد تتحقق فيه غايات العدالة والحرية ويسود السلام !

فاكادت الحرب تضع أوزارها بمقد الهدنة في ١١ نوفمبر عام ١٩١٨ حتى كانت مصر التي فرضت عليها الحماية قسراً بالرغم من قوة حركتها الوطنية وبالرغم من انتشار

الثقافة فيها — كانت أول من تحرك للمطالبة بحق تقريرها لمصيرها . ففي ١٣ نوفمبر توجه « سعد زغلول » مع زميلين له إلى « ونجت » المعتمد البريطاني وأبلغه مطلب مصر وهو الاستقلال التام . وفي نفس اليوم ألف سعد « الوفد المصري » الذي كان مقدراً له أن يقود الحركة الوطنية في ذلك الدور . ونشط أعضاؤه في جمع التوكيلات من الأمة ، وطلب سعد الإذن له بالسفر ليرفع صوت مصر في « مؤتمر الصلح » الذي كان سيعقد في باريس . ولكن كل هذه المطالب رُفِضت ، ورفضت إنجلترا أيضاً بكل تعنت طلب رئيس الوزراء « حسين رشدي » أن يؤذن له بالسفر ، وكان مؤيداً للحركة الوطنية منذ بدايتها ، فاستقال . وانضم السلطان فؤاد الذي كانت الحماية قد عينته إلى جانب السلطة المستعمرة ؛ فاشتد الشعور بالسخط . وفي يوم ٨ مارس عام ١٩١٩ اعتقلت السلطة العسكرية سمداً ورفاقه ونفّتهم إلى « مالطة » فكانت هذه هي الشرارة التي أوقدت مخزن البارود . وقامت الثورة المصرية إذن منذ يوم ٩ مارس ، واستمرت بعد ذلك في عنفها وشدتها نحو عامين ، حتى اضطرت إنجلترا إلى إجابة بعض المطالب الرئيسية الوطنية .

« يتبع »

سنة للخلفاء

رأى علي بن أبي طالب عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) وهو يمدو إلى ظاهر المدينة فقال له : إلى أين يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قد ندد بعير من إبل الصدقة فأنا أطلبه .

فقال علي : قد أنعبت الخلفاء من بعدك !!

رسالة مفتوحة إلى جلالة الملك سعود

« أذيت هذه الرسالة في القدس بمناسبة الزيارة اليمونة التي
سمعت بها الأردن من جلالة عاهل الجزيرة الملك سعود »

يا صاحب الجلالة :

لعل لا أذيع سرا إذا قلت للناس ما سمعته من جلالتك قبل أسبوع في قصر
الناصرية العام بالرياض ، من أن أهدافك التي عاهدت الله أن تبذل كل شيء
لتحقيقها ثلاثة : عزة الإسلام ، وجمع شمل المسلمين ، واسترداد المغصوب من الأرض
المقدسة في فلسطين . وهي أهداف لا يختلف عليها مسلمان ، ومرتبطة بجلالتكم فيها
قلب كل مسلم مهما اختلف وطنه وداره ، وهي وحدها الأهداف التي يمكن أن
تبعث هذه الأمة وتجمع شملها على أساس كريم ، وتمكنها من تحطيم أغلالها وحل
قضاياها وفي رأسها قضية فلسطين . . .

ولعل لا أذيع سرا كذلك إذا نقلت إلى الناس ما سمعته من غيرتك الكريمة
في كل حديثك ، غيرة تأثرت بها وجعلتني أدعو الله ملحا أن يباركها ويجمع فيها
الخير للإسلام والمسلمين .

وإن من حق جلالتك على بعد الذي سمعت ، أن أنقل إليك خلجات نفوس
الناس في هذه الأرض المقدسة وفي غيرها من ديار الإسلام ؛ فإن التجارب الأليمة التي
ءا بها جعلتهم في قلق أليم من كل أوضاعهم ، وتردد شديد في استقبال كل أمل
جديد ، وحاجة ماسة إلى عمل من نوع جديد يرد إليهم إيمانهم بأنفسهم ، وثقتهم في
حكوماتهم ، ويعينهم على مواجهة الشدائد بعزم وثبات .

إن الحكومات التي تخلفت عن شعوبها في الجولة الأولى الهائلة من معركة
فلسطين ، والتي فجعتها في كرامتها وحرمانها فجعة مدممة خلفت وراءها هذا الخزي
والخراب ومئات الألوف من إخواننا الأعزّة المشردين ، هي المسئولة عما تمانيه هذه
الشعوب من القلق ، وما يهددها من الشك وفقدان الثقة ، ومما أصبحت تخشاه
من سلطان الاستعمار عليها . وإن أخطر ما يهدد حكوماتنا أن تتجاهل ذلك
في شعوبها ، وأن تظن نفسها قادرة على تسييرها بالوعد البراق أو بالحديد والنار ؛
فإن الوعد البراق بقذف اليهود في البحر كان بعده الهزيمة ، والحديد والنار لا يجمعان
شملا ولا يدومان بحال

هذه الشعوب قد استيقظت وبطلتها يجب أن تظمن إليها الحكومات المخلصة ؛ لأن الشعب الناهض لا يمكن إلا أن يكون عوناً لحكومته في كل خير ، ولأن الحكومات لا تستطيع أن تفعل شيئاً بغير شعوبها . وإن من حق هذه الیقظة أن تهباً لها أسباب الرعاية ، ومن حق الشعوب - بعد الذي عانت - أن تقيس إخلاص حكوماتها بقدر ما تجد من تأييدها لكل حركة شعبية نظيفة ، أو على الأقل بتركها لتعمل وهي آمنة الظهر في كل قطر من أقطار الإسلام . وإن تجوال جلالكم الميمون في هذه الأقطار وأترككم المبارك فيها يجعلني مطمئناً إلى أنكم يحيطون بتفصيل ما أعنيه بهذه الكلمات ، ويجعلني واثقاً أنه موضع تقديركم وورعيتكم في كل ما تبذلون من جهد وتأييد لقضايا المروبة والإسلام .

يا صاحب الجلالة :

إن الأوضاع في فلسطين قد وصلت إلى حد ينفذ بمخطر أكيد ، وإن استعدادات اليهود الدائمة واعتداءاتهم المتكررة يقابلها في الجانب العربي رخاوة أليمة وضعف واضح على الحدود ، والحرس الوطني على صورته الراهنة لا يستطيع أن يحقق الغاية منه ، وترويده بما يلزمه وكفالة قوته وسلامته أمر لازم يجب المبادرة إليه . ثم إن حالة اللاجئين القاسية أصبحت تستدعي تنظيم المعونة الواجبة لهم ، على أن تتولاها أجهزة إسلامية نظيفة تعينهم على الدفاع عن كياناتهم واسترداد المصوب من أرضهم ، وإن أمل المسلمين في جلالكم أمل كبير ، ونفهم في نجدتكم تجعلهم يستبشرون خيراً في تحقيق ذلك كله ، وفي مواجهة الأخطار المحدقة ببرنامج عملي سليم .

يا صاحب الجلالة :

وإن المؤتمر الإسلامي العام بالقدس ، وهو ثمرة غضة ليقظة الشعوب ، ومحاولة جادة أقامتها الحركة الإسلامية على أساس شعبي يلزم بالكتاب والسنة ، ويلتمس منهما النور الذي يبدي هذه الظلمات ، والروح الذي يحيي هذا الموات - يرحب بجلالتكم في الأرض المقدسة ، ويدعو الله أن يوفقكم إلى كل ما فيه عزة الإسلام والمسلمين .



الأمين العام للمؤتمر الإسلامي

نحو تطبيق الشريعة

للأستاذ محمد فتحي محمد عثمان

أذكر أن رئيس الدولة المصرية قد حضر مناقشة رسالة علمية في أحد موضوعات الشريعة الإسلامية ، فعلق عليها بما نحفظه عنه ونسجله عليه :

« إن لهذه الرسالة أهمية كبرى في الشريعة الإسلامية الفراء التي قامت على أعدل الأسس وأصحها وأدقها وهي القرآن الكريم والسنة الشريفة . هذه الشريعة السامية التي تصلح لكل زمان ومكان وإذا كان القرب قد طنى عليها ووضعها في صورة الرجعية فهذا وهم وخطأ محض .

وإن القانون الفرنسي الذي استمدت منه الدول تشريعاتها ظلّ حتى سنة ١٩٢٧ لا يعرف نظرية العيب الخفي المعروفة في الشريعة الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرناً ، كما أن القانون الفرنسي استمد معظم نصوصه من مذهب الإمام مالك . والشريعة الإسلامية هي أرق القوانين ، وفيها المرونة التي تسابر جميع الظروف .

وكما أضاف أحد منا جديداً إلى ذخيرتنا من الشريعة الإسلامية ، ازدادت جلاء . إن هذه الشريعة التي تُتهم ظلماً بالرجعية قد حفظت حقوق المرأة . وكلما عنيينا بتفصيلها وإيضاحها أضفنا أسانيد جديدة لمقاومة الأفكار القائلة بأن الشريعة الإسلامية يخشى تطبيقها »

وأذكر أنه قد وقع الاتهام الظالم للشريعة بالرجعية من أحد أساتذة القانون الجنائي بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، إذ قال بإحدى المجلات الأسبوعية :

« إن الرجوع إلى النظم الإسلامية بعد أن أدجنا قوانيننا في مجموعة القوانين التي يسير عليها المجتمع الدولي الحديث ، ينطوى على معنى الرجعية المناهض للتطور » .

ولست أدري هل يقصد القائل أن يتهم الشريعة الإسلامية كلها بالرجعية ، أم أن يخص منها جانب التشريع الجنائي وحده ؟؟ .

لا أظن أحداً يقول بالأولى ، فقد اعترف حتى غير المسلمين بمكانة التشريع المدني الإسلامى مثلا ، وأما الثانية فهي ظلم بين الشريعة التى يرتبط فيها التشريع الجنائى بغيره من جوانب التشريع : دستوريا كان أو اجتماعيا أو ماليا أو مدنيا ، ثم هو ظلم للقانون نفسه الذى لا يمكن أن يكون مقصوراً على ناحية دون ناحية .

والمرشد العام للإخوان المسلمين — بارك الله أقواله وأعماله — كان أستاذاً جليل فى تحديد حقوق الإنسان فى دولة الإسلام من مأكل وملبس ومسكن وعلاج ، وفى بيان ارتباط جوانب التشريع الإسلامى بعضها ببعض ، وعلاقة الحدود الشرعية بكفالة الحقوق المادية والأدبية ، ولقد ردد هذه المانى فى أحاديثه المختلفة التى نشرت فى الصحف اليومية والأسبوعية ، وعلقت عليها جريدة الأهرام مرة فى حديثها الرئيسى ، ومرة فى التعليقات التى تنشر تحت عنوان « ما قلّ ودلّ » .

والدولة الإسلامية تسير فى فقهها الاجتماعى أرقى ما وصلت إليه الاتجاهات الدستورية والدولية ؛ إذ تقول هذه الاتجاهات بأن مهمة الوثائق الدستورية والدولية ليست مجرد تقرير حقوق الإنسان ، بل لابد من أن تتجه اتجاهها إيجابياً فتنص على التزام الدولة بكفالة هذه الحقوق وتمكين الفرد من مزاوتها والتمتع بها ، حتى لا تكون فلسفات نظرية لا تصاحبها إمكانيات عملية أو قوة تنفيذية .

يقول الأستاذ المودودى فى رسالته « نظرية الإسلام السياسية » تحت عنوان « غاية الدولة الإسلامية » :

(للدولة الإسلامية القائمة على أساس هذا الدستور غاية ذكرها الله تعالى فى كتابه فى مواضع عديدة منها قوله : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » ؛ فالمراد من الحديد فى الآية هو القوة السياسية . والآية قد بينت ما تبعت الرسل لأجله ،

وهو أن الله قد أراد بيعتهم أن يقيم فى العالم نظام العدالة الاجتماعية ، على أساس ما أنزله عليهم من البينات ، وما أنعم عليهم فى كتابه من الميزان : أى نظام الحياة الإنسانية العادل . وقال فى موضع آخر : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » وقال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فمن تدبر هذه الآيات

اتضح له أن الدولة التي يريدّها القرآن ليست لها غاية سلبية فقط ، بل لها غاية إيجابية أيضاً : أى ليس من مقاصدها النّوع من عدوان الناس بعضهم على بعض وحفظ حرية الناس والدفاع عن الدولة بحسب ، بل الحق أن هدفها الأسمى هو نظام العدالة الاجتماعية الصالح الذي جاء به كتاب الله (اهـ) .

وهذه المسؤولية التي يحملها الإسلام للدولة تتضح في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة . أقرءوا إن شئتم قول الله : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » فأما مؤمن مات وترك مالا فليتره عصبته من كانوا ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاها) (١) .

وقد يبدو للبعض أن هذا تفسير تقدمي من أقلام دعاة الإسلام في القرن العشرين ، بعد أن تأثروا بالنزعة الاشتراكية المعاصرة . ولو رجعنا إلى أقوال إمام جليل من أئمة القرن الخامس الهجري ، وهو أبو محمد علي بن حزم ، لوجدناه يقرر صراحة مسؤولية الدولة إزاء التعليم ، وإزاء مستوى المعيشة .

يقول بالنسبة للتعليم « إن كل مسلم عاقل بالغ من ذكر أو أنثى حر أو عبد ، يلزمه الطهارة والصلاة والصيام فرضاً بلا خلاف من أحد من المسلمين ، وتلزم الطهارة والصلاة المرضي والأصحاء ، وفرض على كل من ذكرنا أن يعرف فرائض صلاته وصيامه وطهارته وكيف يؤدي ذلك . وكذلك يلزم كل من ذكرنا أن يعرف ما يحل له ويحرم عليه من المآكل والمشرب والملابس والفروج والدماء والأقوال والأعمال . فهذا كله لا يسمع جهله أحد من الناس : ذكورهم وإناثهم ، أحرارهم وعبيدهم وإمائهم . وفرض عليهم أن يأخذوا في تعلم ذلك من حين يبلغون الحلم وهم مسلمون ، أو من حين يسلمون بعد بلوغهم الحلم ، ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم ما ذكرنا إما بأنفسهم وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم ، وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك ، وأن يرتب أقواما لتعلم الجهال » .

(١) رواه بألفاظ مختلفة أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه ، وصححه السيوطي في جامعه

الصغير ، واللفظ للبخاري .

ثم يزيد على ذلك ما يناسب كل طائفة من ألوان العلم والثقافة فيقول : « ثم فرض على كل ذي مال تعلم حكم ما يلزمه من الزكاة ، وسواء الرجال والنساء والعبيد والأحرار ، فمن لم يكن له مال أصلاً فليس تعلم أحكام الزكاة عليه فرضاً .
ثم من لزمه فرض الحج ففرض عليه تعلم أعمال الحج والعمرة ، ولا يلزم ذلك من لا صحة لجسمه ولا مال له .

ثم فرض على قواد المساكين معرفة السير وأحكام الجهاد وقسم الفنائم والفيء .
ثم فرض على الأمراء والقضاة تعلم الأحكام والأقضية والحدود ، وليس تعلم ذلك فرضاً على غيرهم .

ثم فرض على التجار وكل من يبيع غنمته معرفة أحكام البيوع وما يحل فيها وما يحرم ، وليس ذلك فرضاً على من لا يبيع ولا يشتري .
ثم فرض على كل جماعة مجتمعة في قرية أو مدينة أو دسكرة - وهي المجشرة عندنا - أو حلة أعراب أو حصن أن يتدب منهم لطلب جميع أحكام الديانة أولها عن آخرها^(١) » اهـ .

ونأمل معي في هذا النص الجامع :

١ - تحديد مسئولية الدولة بوضوح إزاء التعليم . وهذا ما نحن بسبيل بيانه والتدليل عليه .

٢ - العناية بتحديد حد أدنى للمستوى الثقافي العام ، يتمثل في قدر معين يلزم علمه للجميع ، وقدر معين آخر يلائم كل طائفة .

٣ - النص على تعليم المرأة نصاً صريحاً قاطعاً . وقد قال ابن حزم في موضع آخر « . . . النفار للثقة في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على النساء كوجوبه على الرجال . وفرض على كل امرأة الثقة في كل ما يخصها كما ذلك فرض على الرجال . ففرض على ذات المال منهن معرفة أحكام الزكاة ، وفرض عليهن كلهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصوم ، وما يحل وما يحرم من المآكل والمشرب والملابس وغير ذلك كالرجال ولا فرق . ولو تفقّحت امرأة في علوم الديانة ،

(١) الإحكام في أصول الأحكام ج ٥ ص ١٢١ - ١٢٢

للمنا قبول نذارها ، وقد كان ذلك . فهؤلاء أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وصواحيه قد نقل عنهن أحكام الدين ، وقامت الحجة بنقلهن ، ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلنا في ذلك^(١) .

٤ - تربية وعى قانونى سليم فى الأمة بتعليم أحكام الشريعة ، حتى تعرف الرعية الأحكام التى يتعاملون بها فيما بينهم ، وتحاسبهم على التزامها وتلزمهم بها حكومتهم .

فإذا أضيف إلى هذا التعليم الإلزامى ، الذى هو فرض عين ، ضروب التعليم الأخرى التى هى من فروض الكفاية كالطب والهندسة والكيمياء والطيران وغير ذلك ، تبين أى مستوى راق يكفله الإسلام فى المجتمع الإسلامى .

هذا عن المستوى الثقافى ، أما المستوى المعاشى فلإمام ابن حزم كلمته الذائعة التى تقر حق الفقير وتحدد مسئولية الدولة : « فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم ، ولا فى سائر المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكفهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة^(٢) » وفى هذا النص تقرير لمسئولية الدولة صريح .

ولقد جمل ابن حزم من المسألة المعاشية قضية شعبية يعلن من أجلها الكفاح ، وذلك حيث يقول : (ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير ، وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو لدمى ؛ لأن فرضا على صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإذا كان كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير . وله أن يقاتل عن ذلك ؛ فإن قتل فعلى قاتله القود ، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله لأنه منع حقا ، وهو طائفة باغية . قال تعالى : « فإن بغت إحداها على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تنى إلى أمر الله » ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه مانه الزكاة^(٣)) اهـ .

(٢) المحلى . ج ٦ ص ١٥٦

(١) الإحكام ج ٣ ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) المحلى ج ٦ ص ١٥٩

هذه نصوص تقطع بأن مسؤولية الدولة عن حقوق المواطنين ، مقررّة عند علماء المسلمين من قديم ، وليست من قدح الأذهان عند الداعين إلى الإسلام في القرن العشرين . فهل يعد مثل هذا التشريع تقدّمية أم رجعيًا ؟ ؟

وليس من شك أن هذا التشريع الاجتماعي الذي يحفظ للأفراد مستوى معاشيا وثقافياً كريماً ، يتضافر مع التشريع الجنائي على مكافحة الجريمة ، حتى يضيق المجال أمام الإجرام ، وتغدو الحدود الشرعية « عقوبات تهديدية تبين للناس فداحة الجرم إن هم أقدموا عليه ، وعادلة لأنها لا تطبق إلا في مجتمع إسلامي متكامل توفرت فيه دعائم التربية السليمة ، وأسباب الاستقرار الاجتماعي المادية والأدبية^(١) » .

أضف إلى ذلك أن تشريع الأحوال الشخصية سيكون له نصيب في مكافحة جريمة كالزنا ، والتشريع المدني سيكون له أثره في مكافحة جريمة كالسرقة ، والتشريع الدستوري سيكفل قيام الحكومة الشرعية التي ستقوم على تطبيق التشريع الاجتماعي ، وسيكفل حق الأمة في تولية الحاكم الصالح ومحاسبته وعزله ، وحق الأمة في الشورى والاشتراك في تدبير أمورها .

فإذا كان التشريع الجنائي وحده هو الذي يوسم بالرجعية ، فينبغي أن ينظر إليه في هذه الأضواء ، متضافراً مع غيره من التشريعات ومع التربية على أساس العقيدة والأخلاق . وإن كان التشريع الإسلامي كله هو المقصود ، فما أظلم الاتهام !!!

لقد حقق الإسلام أمنية يهفو إليها علم النفس الحديث . يقول فرنسيس إيفلنج « إذا كانت غايتنا هي مصلحة المجتمع وجب أن يكون الغرض من العقاب هو الوقاية ، وأي وسيلة تحقق هذا الغرض يجب أن تعتبر صالحة من الوجهة الاجتماعية . فإذا كان في إمكاننا أن نستبعد أسباب الإجرام وظروفه ، سواء أكانت هذه الأسباب ترجع إلى البيئة ، أو إلى الشخص نفسه ، لكانت هذه هي الوسيلة المثالية التي يجب أن نتخذها^(٢) » .

(١) المرشد العام — دستورنا

(٢) علم النفس قديماً وحديثاً — ترجمة عماد الدين إسماعيل ومطبعة هناس ١٦٩ .

بريطانيا واليهود

كان الجهاد في سبيل الحصول على وعد قاطع لاسترداد فلسطين لليهود جهاداً عنيفاً وجهاداً غريباً في بابه لا يعرف له مثيل في التاريخ . فاليهود أمة حرمت وطنها منذ أكثر من ١٨٠٠ سنة . وقد تصدرت بريطانيا العظمى حركة إرجاع هذا الوطن لأصحابه ؛ وأظهرت بعض الدول الأخرى عطفاً على تلك الحركة . ولكن . . قامت من بين اليهود فئة كبيرة من أوسع اليهود نفوذاً عالمياً ، وأكثرهم مالاً بحاربون الفكرة ؛ لأنهم يعتقدون بأن اليهودي هو مواطن حيث عاش : فهو ألماني في ألمانيا ، وأمريكي في أمريكا وهلم جرا . وخلال ستة الأشهر التي سبقت إعلان وعد بلفور اشتد الجهاد بيننا وبين أولئك اليهود اشتداداً عنيفاً قاسياً بالغ الحدة . ذلك لأنهم كانوا يحاولون مستميتين أن يمنحوا بريطانيا من قطع مثل هذا الوعد . فلما فشلوا حاولوا على الأقل أن يخففوا منه وأن يضيّقوا من حدوده . وكان حملة فكرة أن اليهودي مواطن حيث كان من اليهود قد شعروا في ربيع عام ١٩١٧ أن دعاة الصهيونية قد قويت كلمتهم واشتهرت دعوتهم ، فعزموا على العمل ، وعلى العمل السريع ، وكان معظم حملة فكرة محاربة الصهيونية من يهود بريطانيا . ففي ٢٠ مايو من عام ١٩١٧ دعا يهود بريطانيا إلى اجتماع عام خطبت فيه أنا فقلت بين ما قلت :

(أقرأ في الصحف اليهودية ، وغير اليهودية ، أن الصهيونيين يريدون إقامة دولة يهودية في فلسطين في الحال ، وقد ذهب يهود أمريكا إلى حد تعيين نوع تلك الدولة فقالوا إنها ستكون جمهورية . أما أنا فأقول إن إنشاء دولة يهودية في فلسطين في الحال ، هو خطأ سياسي كبير لأن الدول تبنى بالتدريج ولا تبنى دفعة واحدة .

ويوجد من الناس ، ومن اليهود ، من يزعم أن ذهاب روسيا القيصرية سوف

يقضى على حركة الصهيونيين لأنه لم يبق لليهود حجة لهجرتهم من روسيا إلى فلسطين أو إلى غيرها ، بعد تحرر روسيا من اضطهادات الحكم القيصري .

أما أنا فأقول لكم إنه ليس أسخف من هذا الرأي ، لأن الصهيونية والمطالبة بالوطن القومي لم تنبعثا من اضطهاد اليهود ، وإنما هما وليدتا وطنية اليهود ، وحاجتهم إلى وطن واحد يجتمعون فيه بعد التشتت ؛ وهذا الوطن هو فلسطين : وطنهم التاريخي .

إنه من العار أن يتحارب الإخوان حول مطالبتنا بوطن هو وطننا . أقول هذا ثم أحذركم - أتم يا خصوم الصهيونية بين اليهود - وأقول لكم ارفعوا أيديكم واحذروا العمل ضدنا) .

ولكن كل هذا لم يؤثر في أغنياء اليهود وأصحاب النفوذ من يهود بريطانيا ، فنشر دافيد ألكسندر رئيس مجلس يهود بريطانيا ، وكلود مونتفيوري رئيس الجمعية اليهودية الإنكليزية ، بياناً في جريدة (التايمس) هاجم فيه الصهيونية أشد هجوم ، وحذرا فيه حكومة بلفور من الإقدام على عمل من الأعمال التي يسعى الصهيونيون إلى تحقيقها على يد ... بريطانيا ...

كان اليهود أصحاب النفوذ يطالبون بأن يعيش اليهود في سلام مع العرب في فلسطين ، وكانوا يقولون إن اليهودية دين لا قومية .

إلا أن رؤساء الدين اليهودي في بريطانيا ، وفي إسبانيا ، وفي البرتغال ، نشروا بياناً في (التايمس) عارضوا فيه الفكرة ، وأعلنوا أن اليهودية دين وقومية ، وهنا تفضلت (التايمس) فنشرت مقالاً رئيسياً قالت فيه :

« ليس هناك ما يدعو إلى مثل هذه الخصومة بين اليهود ... إن العالم المسيحي لن ينقلب ضد اليهود المقيمين فيه إن هم قالوا إن يهوديتهم هي دين وهي قومية ... »

وننشر فيما يلي ترجمة نص وثيقة هامة وصورتها الزنكوغرافية . وهي عبارة عن

قصاصة من جريدة التيمس تاريخها أول أكتوبر ١٩٣٧، وهي تفضح أطاع بريطانيا ونظرتها إلى العلاقة بينها والولايات المتحدة من جهة، وفلسطين واليهود من جهة أخرى على أساس من نصوص التوراة !!

والنص منشور بين صورة النبي قائد معركة مجدو الفاصلة في فلسطين في الحرب العالمية الأولى وصورة لورنس رجل الإنجليز في الجزيرة العربية :

السيادة في فلسطين

هل ملكية أرض الميعاد تختص بها بريطانيا بحق ؟

إن الإجابة على هذا السؤال الجوهرى تتوقف على تفهم العوامل التالية :

[إن بريطانيا العظمى هي إسرائيل، والسيادة على أرض إسرائيل لا بد أن تكون وحدة لا تتجزأ . إن العرش البريطانى هو الامتداد الحديث لعرش داود ؛ وفلسطين، لأنها حجر الزاوية في أمن الشرق الأدنى، يجب أن تصبح ألمع درة في التاج البريطانى].

هذه العبارات تبدو متحدية، ولكنها تبين مسائل ذات أهمية كبرى للشعب البريطانى . ذلك لأنه ما دام البريطانيون يقصرون دون التحقق أنهم هم الشعب الإسرائيلى — متميزاً عن اليهود — فإن أية خطة للسلام في فلسطين لن تتضمن أملاً لحل دائم . إن مشكلة فلسطين أعظم كثيراً من أن تكون مجرد نزاع في السياسة المحلية ؛ فإن مستقبل فلسطين متصل بمصير الأمة البريطانية على وجه العموم .

إسرائيل تصبح « كومنولثاً » أو جماعة أمم :

لقد أصبح الشعب البريطانى اليوم « أمة وجماعة أمم » الواردة في سفر التكوين ٣٥ : ١١ أى أنها كانت الغيب الذى أعلن عن مآل نسل إبراهيم ^(١) . وكذلك فإن

(١) ورد في التوراة : « وقال له الله اسمك يعقوب . لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون إسرائيل . فدعا اسمه إسرائيل . وقال له الله أنا الله القدير أقمر وأكثر . أمة وجماعة أمم تكون منك . وملوك سيخرجون من صلبك . والأرض التى أعطيت إبراهيم واسحق لك أعطيتها : وانسلك من بعدك أعطى الأرض » (سفر التكوين ٣٥ : ١٠ — ١٢) .

شعب الولايات المتحدة باعتباره « الشعب الكبير » النوة عنه في سفر التكوين ٤٨ : ١٩ له أيضاً اهتمام بمستقبل أرض الميعاد^(١) .

الادعاء الصهيوني :

إن العاطفة البريطانية تجاه الصهيونية طبيعية ولكنها مغلوطة . ذلك لأن اليهود — باعتبارهم بقية يهوذا وحسب — ليس لهم أن يطالبوا بحقوق إحصار شامل لأرض الميعاد متقدمين على الشعب البريطاني الذي يمثل « جميع بيت إسرائيل كافة » . إن هناك فرقاً واضحاً بين أن تكون أعطيت الحق لتتخذ لك في البلاد وطناً ، وبين أن تتخذ البلاد كلها موطناً لك .



(١) وجاء في التوراة : « وقال يوسف لأبيه ليس هكذا يا أبني لأن هذا هو البكر . ضع يمينك على رأسه . فأبى أبوه وقال علمت يا ابني علمت هو أيضاً يكون شعباً وهو أيضاً يصير كبيراً ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه ونسله يكون جمهوراً من الأمم » (سفر التكوين ٤٨ :

سُبْحَاتُ فِكْرٍ

لِلأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

سفير مصر بالباكستان

النظام والإتقان

أزمننا سفرًا طويلاً ، وعزمننا على التكبير به . ولم يكن السفرُ نجاةً فقد رويننا فيه وتأهبنا له . ولكن أخرنا الإهمال والإهمال حتى خرجنا والساعة أربع نهاراً (قبل الظهر بأقل من ساعتين) وإنما أخرنا التهاون والاستخفاف بالواقيت بل إعوان النظام . والنظام قوام الأعمال كلها :

هو في الزمان إحكام المواعيد والمحافظة عليها ، وتادية كل عمل في حينه . وحين كل عمل موقوت بأسبابه ودواعيه . وتأخير العمل عن حينه تضييع للفرصة ، وإخلال بالمدّة ، ووضع للأمر في غير موضعه ، وأن تُضَيّع وقته لترحم به وقتاً أعد لغيره ولم يهيأ له .

والنظام في المكان وضع كل شيء في موضعه وإحلاله محله المهيأ له والذي يسر وجدانه والانتفاع به .

والنظام في الفكر أن تتسلسل المقدمات على ترتيب حتى تُفَضَّى إلى نتائجها . والنظام في النفس أن تسير على قوانين لا تحار ولا تتردد . والنظام في الجماعة ائتلاف أفرادها على قانون جامع ، وتعاونهم على أمر مقدور لتعمل متعاونة غير متخاذلة ومتآلفة غير متضادة .

وكذلك النظام في الخليقة كلها . أحسب النظام — وإن شئت فسمه الوثام والوقاف والحب والسلام — قوام كل الأمر في الخليقة وفي نفس الوحدات والجماعات والأمم ، وفي أقوالها وأفعالها وسياساتها .

تأمل تجد الأدلة قائمة ، والحوادث في الأنفس والآفاق شاهدة .

بُعْدَ الحُضَرِ عَنِ الطَّبِيعَةِ

خرجنا من المدينة المنورة قبيل العصر نؤمّ جدة ، فأدركنا موضعاً اسمه البستان وقد مضى من الليل قرابة أربع ساعات فأثرنا البيت ؛ فترلنا ومهدنا فرشنا تحت السماء الصافية المصحية ، نرى النجوم شارقة وغاربة ، ومطلة على الجبال وكائسة وراها ، وباتت الكواكب والبروج في جمالها وجلالها تسامرنا . وذهب التأمل مذاهبه في صورها ومعانيها .

ونمنا على نية السير بفلس . وقت قبل الفجر فإذا أحد الرفاق يوقظ الركب صائحاً : قوموا لقد غاب القمر ، وأوشكت الشمس أن تطلع . وجعل يكرر هذا القول ويؤكد حساناً أن غروب القمر يعقبه طلوع الشمس . فضحكت وقلت : يا هذا إن القمر يغرب بالليل والنهار ، ويغيب قبل طلوع الشمس وبعد طلوعها . ثم قلت لنفسى : لقد قطع الحضر الناس عن الطبيعة وحجبهم عن السماء ؛ فقلّ من يعرف من أهل المدن أسماء النجوم والبروج وسيرها في أفلاكها واختلاف مواضعها باختلاف أيام السنة وساعات الليل . ولكن أهل البادية يعرفون هذا كله ويهتدون به سائرين ، ويوقتون به مقيمين .

سألت بدويّاً في الحجاز عن نجم فقال هو الجوزاء . وأشار إلى آخر قريب منه وقال : هذا المِرْزَمُ ، ثم أشار إلى الأفق الجنوبي وقال : وهذا سُهَيْلُ ، وأخذ يحدث عن سهيل وأوقات طلوعه وصلته بالجو وأثره في الإبل .

ينبغي ألا تقطع الحضارة الناس عن الطبيعة في سمائها وأرضها ، وعن الطبيعة في أجسادهم وأنفسهم ؛ ففي البعد عنها ضعف الأنفس والأجسام وضيق الأخيلة والأفهام .

الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

دار حديث في تبدل الأحوال وسرعة تغيرها : العالم في تغير مستمر ، والأمم في تحول مطرد ، والإنسان لا يلبث على حال ، ليس لشيء ثبات ولا لأمر بقاء .

منع البقاء تقلبُ الشمس . وطلوعها من حيث لا تسمى

قلت أجل ؛ ولكن أمراً واحداً لا يحول ولا يزول ، هو الحق ؛ الحق الذي يسير قوانين هذا العالم المتغير ، ويفنى في بقاءه كل شيء ، وتحول على ثباته كل حال ، فلا تخدعنكم الصور الحائلة الزائلة ، فإن وراءها حقائق دأمة عمادها الحق الباقي الذي لا يزول .

ومن هذا الحق الكلمة الطيبة تتداولها الأجيال بعد الأجيال ، مزهرة مشمرة مظلة ، والعمل الصالح تسير على سنته القرون بعد القرون وهو طريق بين لا حب مضى ، يهتدى عليه الناس ويأتسون به ، ويركنون إليه ، ويلبغون به المقاصد .

من ديوان : « مع الله »

الجزء الأول

عَمَّرْتَنِي نِعْمَ آوُهُ وَتَبَدَّتْ لَضَمِيرِي فِي مِرْأَتِي وَبُؤْسِي
وَتَجَلَّتْ آوُهُ فِي حَيَاتِي وَاطْمَأْنَنْتُ فِي غَوْرِ تَقْلِي وَحَسِّي
أَتَلَقَّى مَرَّاءَهُ فِي صَبَاحِي وَأَوْفَى ضَرَاءَهُ حِينَ أُنْسِي
وَأَرَانِي أَسْمُو بِسْمِي وَوَعْيِي عَنْ جَزَائِمِ مَعْدِنِ الْأَرْضِ بِمُخْسِرِ
حَسْبُ نَفْسِي مِنَ الْجَزَاءِ شُمُورِي أَنْتَنِي فِي الْإِلَهِ أَبْذُلُ نَفْسِي !
« عمر بهاء الدين الأميري »

برنامحنالاقتصادى

للأستاذ محمود أبو السعود

مستعار بنك الدولة بيا كستان

(٣)

منشأ الفائدة :

لقد التوت بنا وظائف النقد ، أو إن شئت التوبنا نحن بها ؛ فالنقد يمثل قوة شرائية ، وليس مطلوباً لذاته ، لأنه لا يفيد الإنسان فى قليل ولا كثير إذا أعفينا من صفته النقدية (يلاحظ أن المدينين الذهب والفضة لن يكونا ذوى قيمة تذكر إن لم يستعملا كنقد ، إذ أن استعمالهما فى الصناعة محدود ، ولن يكون عليهما طلب من الشدة بحيث تصبح قيمتهما كما نتصورها الآن) . ويكفى أن تفكر قليلاً فى منفعة تلك القطعة الورقية من ذات العشرة الجنيهات وكم تدفع فيها إذا علمت أنها لن تساعدك فى استبدال سلعتك ولن تكون لها قوة شرائية ؟ .

هذه الورقة النقدية لا يمكن أن تعتبر فى حد ذاتها سلعة ، ومع كل هذا أضفينا عليها صفات (الإنتاجية) فهى بمثابة رأس مال منتج مضمون الغلة ، وهذا الوصف خيال فى عالم الحقيقة ؛ لأن رؤوس الأموال المنتجة لا يمكن أن تضمن غلتها إذ هى معرضة للربح والخسارة ، بل معرضة للفناء والالتئام ، ويكفى أن تُخترع آلة جديدة أعظم كفاية من الآلة القديمة (والآلة رأس مال منتج) حتى تصبح الآلة الأولى نافهة القيمة عديمة الجدوى حتى لا تكاد تجد من يشتريها . أما النقود فهى لا تبلى ولا تتجى ولا تدرس ، ولا يمتورها أى نقص . وعلاوة على ذلك فقد ضمن صاحبها دخلاً ثابتاً يأتبه رغداً آخر كل عام هو ما يسمى « بالفائدة » يحصل عليه وهو مستريح فى داره لا يتكلف عناء أو مشقة .

لقد نبه الإسلام الحنيف إلى هذا الوضع وأبى إلا أن يعامل النقد كوكيل لا يتمتع بأكثر مما يتمتع به موكله ، فهو خاضع لسنة التناقص وقانون الفناء ، وهو

لا يزيد بنفسه ولا ينفع صاحبه لجرد امتلاكه . والحق أن الذين يبررون ربا المال لا يتفقون قط على سبب التبرير . فأتأ يرجعون ذلك إلى حرمان صاحب المال من ماله فترة من الزمن . ولست أدري من الذى حرمه من ماله ، فنحن لا نعرف قط رجلاً أخذ منه ماله قسراً وأعطى نظير ذلك دخلاً ثابتاً فوق ماله الأصلي . إن الذى يقرض بفائدة يتخلى عن ماله لآخر نظير جعل ثابت لا مبرر له . وقد يقال إن الحرمان متضمن فى كثير من الأحيان ؛ بمعنى أن من الناس من يريد أن يدخر فى حاضره لينتفع بالمال فى مستقبله ، ولست أدري أين المبرر هنا ، إذ أكثر ما يقال أن نجد وسيلة لأمثال هؤلاء نحفظ لهم ما يدخرون من حيث السك والكيف ، أما أن نعطيهم أكثر مما ادّخروا فذلك غبن ظاهر وتعميل عليل .

ويقول آخرون إن الفائدة ثمن الخطر الذى يتحمله القرض ، وهذا وجه آخر للتدليل الأول ، إذ ليس نعمة موجب يلزم القرض بتحمل الخطر ، ولو شاء أن يحتفظ بماله دون خطر فلن يجبره أحد بالمخاطرة ، ثم كيف تكون المخاطرة حين يسلم الفرد ماله إلى الدولة فى شكل إقراض نظير سند حكوى ؟ إن الحكومة أضمن من الفرد ، وليس هناك وجه للمخاطرة قط . وبجانب هذا تسمع نعمة عجيبة لتبرير الفائدة : إذ يقول البعض إنها السبيل الطبيعى لإغراء الناس بالادخار ، وعن طريق الادخار يتكون رأس المال ، ورأس المال يزيد الاستثمار والإنتاج ، وهذه الزيادة ليست إلا سنة لازمة من سنن التطور البشرى . وهذا قول مردود لأن المشاهد أن الادخار غير مرتبط بسعر الفائدة ، ولو صحت نظريتهم ل زاد الادخار بزيادة سعر الفائدة . على أن الادخار يكاد يكون غريزة أصيلة فى الإنسان والحيوان ، نشاهدها فى الرجل البدائى الذى يعيش فى مجاهل المناطق الاستوائية ، وزاها واضحة فى الإسكيمو وهو ليس بأرق من الزنجى فى الأمازون ، كما نلمس هذه الظاهرة فى كثير جداً من الحيوانات كالنمل والنحل والسمجاب وغيرها . ويقينى أن لو استقام استعمال النقد فإن الفائدة ستلنى من تلقاء ذاتها كما سنبين ذلك إن شاء الله فيما بعد . ولن يعدل الفرد عن الادخار بحال من الأحوال ، كما أن تسكوين رأس المال سيتضاعف لأن العوائق التى يقيمها استعمال النقد فى طريق التقدم الاقتصادى هى المستولة فعلاً عن الخلل الذى يعتور التوازن الاقتصادى ، وهى التى تعوق اضطراد التوسع الإنتاجى .

الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن الفائدة ليست إلا ضريبة الأغنياء على الفقراء ، توارثناها ولم نستطع منها فكاً كما يحكم سيطرة القوى على الضعيف ، وليس لها من تعاليل علمي على وجه الإطلاق . بل إن الإقتصاديين الحديثين قد أخذوا عن برودون Proudhon فكرته في أن الفائدة هي دلالة التخلخل الاقتصادي ، ولقد اقتبس سيلفيو جيزيل Silvio Gissell عن برودون هذه الفكرة ودعا لها وكون مدرسة جديدة سماها مدرسة النظام الطبيعي الحر Natural Economic Order ووفق أياً توفيق في معالجة النظام الاقتصادي على أساس خالٍ من سعر الفائدة ، ولم يعد في فكرته تصحيح معنى النقد ، ولم يزد على النظرية الإسلامية شيئاً فيما يختص بالفائدة وأوجه التداول وإن خافه التوفيق في فهم معنى رأس المال الثابت ؛ ففشل في حل قضية الأرض الزراعية .

وما إن مات جيزيل في سنة ١٩٣٠ حتى طلع اللورد كينز Lord Keynes بنظريته المشهورة عن « المالة الكاملة » Full Employment سنة ١٩٣٦ وفيها تدليل قوى على انعدام الفائدة إذا وصل الاقتصاد إلى حد المالة الكاملة وهو الحد الذي تستغل فيه هبات الطبيعة بما فيها الأيدي العاملة على الوجه الأمثل . وأعقب كينز كثير من تلامذة مدرسته الجديدة التي تعتبر أقوى مدرسة في القرن العشرين ، وبدأوا من حيث انتهى : أي أخذوا يفكرون في ذلك النظام الاقتصادي الخالي من الفائدة وكيفية تطبيقه . وأشهر من عالج الموضوع لورد بويد أور Lord Boyd Orr وقد بنى فكرته على تثبيت الأسعار ، وهذه تتأثر بأسعار المواد الأولية : غذائية ومعدينية . ونظراً لأنها تخضع لتقلبات الطبيعة فقد أهاب بويد أور بالدول جميعاً أن تتفق على تجميع المنتج من السلع الأولية الأساسية في الصناعات ، وأن تحدد أسعارها ، وبالتالي يسهل تحديد السلع المنتجة وأجور العمال ، وتستقر الأحوال وتزدهر الأسواق ، ويصل المجتمع إلى حد المالة الكاملة . وواضح أن الشرط الأساسي لهذه الفكرة صعب التحقيق ؛ إذ أنى للدول المتنافسة أن تتفق فيما بينها على تثبيت أسعار المواد الأولية . وعلى كل حال فقد حاولت هيئة الأمم المتحدة أن تعقد ما يسمى باتفاقيات السلع Commodity Agreements ولم تكسب تنجح إلا فترة قصيرة في محصول واحد هو القمح ، أما سائر السلع التي تكونت لها لجان عالية فقد فشلت جميعاً ، ولم تنجح

لهذه الفكرة أن تظهر بعد ، ويستبعد نجاحها لأمرين : الأول صعوبة التوفيق بين مصلحة المنتج والمستهلك والمنافسة بين المنتجين بعضهم وبعض ، والثانى صعوبة تثبيت الأسعار للسلع المصنوعة على أساس تثبيت أسعار المواد الأولية ؛ وذلك لأن السلع الصناعية تخضع عوامل كثيرة تحدد من إنتاجها وأسعارها ، وليست المادة الأولية وحدها بأهم عامل . فهناك مثلاً أجور العمال ، وهناك التوطن الصناعى ، وهناك الاختراعات الحديثة ، وأخيراً هناك رأس المال ذاته . على أن أهم ما يمايل على هذه النظرية هو عدم معالجة المرض فى منبته . والمرض هو خطأ استعمال النقود ، وهذه لم يتعرض لها بويد أور .

وقد ورث الأستاذ هارود Harrod اللورد كينز فى كرسية بجامعة لندن وفى عمله كاستشار للخزانة البريطانية ، كما أنه حمل راية المصيان ضد الفائدة بعده ، ونشر أخيراً كتاباً عزاه فيه حدوث الأزمات الاقتصادية إلى وجود الفائدة . وهو وإن لم يأخذ برأى جيزيل إلا أنه متأثر قطعاً بفلسفة برودون . وقد عالج الموضوع متأثراً خطأ كينز : أى عن طريق ضرورة إقرار العمالة الكاملة وهذه تقتضى انعدام الفائدة تماماً . وقد دخل هارود فى تفاصيل تطبيقية مبتغياً من وراء ذلك أن يثبت الأسعار ويزيد الإنتاج ، وأن يتوافر رأس المال حتى يصل سعره أو ثمنه إلى الصفر ، واستعار الكثير من نظرية بويد أور وابتكر وسيلة لحفظ القيم المستقبلية . ولكنه على كل حال لم يكن واضح الفكرة بمجمع رأى . وأبدع ما شرحه هو الضرر البالغ الذى يصيب المجتمع البشرى من جراء الفائدة ، وأنه لا نجاة من هذه الأضرار ما لم يتخلص المجتمع من ضرورها . ولا يزال قادة الفكر الاقتصادى المعاصر يحاولون جادين الوصول إلى طريقة ننتفى فيها الفائدة فى كل صورها .

أما الإسلام فملاجه لهذا المشكل الذى إذا حلّ أمكن الوصول إلى العمالة الكاملة على حد تعبير كينز ، أو أمكن تطبيق مبدأ التكافل الاجتماعى كما جاء به الإسلام ؛ فهو يتلخص فى معالجة الأموال المنقولة عن طريق تصحيح معنى النقد ، كما أنه يطبق نفس القاعدة ويضيف إليها قاعدة (الغنم بالقرم) فى الأموال الثابتة .

أما نظريته إلى النقد فهى نظرية بسيطة إذ النقد لا يمدو أن يكون وسيط التبادل .

وكيلا عن السلع والخدمات ، وهو في حدود هاتين الصفتين لا يمكن بحال أن يسوّد على غيره ، أو أن تكون له صفة تعلو على صفة (موكله) . من أجل هذا قرر الإسلام أمرين :

الأول : مبدأ ضرورة الإنفاق . وإنك لترى هذا المعنى مكررا مؤكدا في القرآن الكريم والحديث الشريف الصحيح ؛ فقد حضنا الله تبارك وتعالى على أن نبذل المال أبداً في قسط وحكمة ، وأنذر الذين يخزنون المال وشدد عليهم في الوعيد فقال تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب آليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » والسائد فقها أن ما يحثنا عليه تعالى إنما هو أمر واجب التنفيذ يعاقب المخالف له . وقد جاء في الحث على الإنفاق قوله تعالى : « فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

هذه الناحية تبدو أدخل في باب الأخلاق ، ولكنها في واقع الأمر تمس موضوعنا في الصميم ؛ إذ مما لا شك فيه أنه لو أكثر الناس من إنفاقهم لما اختزنوا المال ولازدادت سرعة التداول فازداد الطلب على المنتجات ، وازداد الإنتاج تبعا لزيادة الطلب ، وازداد أجر العامل الحقيقي وقلت البطالة ، وازداد الطلب ثانيا وهكذا دواليك . ثم إن محور المبادلة — كما سبق شرحه — أن البائع لسلمة يجب أن ينفق الثمن الذي قبضه في شراء سلع أخرى ، فإن تبقى لديه فائض فعليه استثماره لا اكتنازه ، والاستثمار في الإسلام يعادل الإنفاق تماما لأنه يؤدي إلى التخلي عن إمساك المال واحتجازه عن سوق المعاملات . وهذا الاحتجاز هو سبب البلوى وبيت الداء .

الثاني : مبدأ هلاك المال ، فإذا اكتنز فرد مبلغاً من المال لمدة عام واحد فإنه يجبر على أن يدفع ضريبة على هذا المال مقدارها ٢,٥ ٪ ، ومن المقرر في الإسلام قوله صلى الله عليه وسلم « إن في المال حقاً غير الزكاة » ومعنى هذا أن هذه النسبة يمكن أن تراد إذا اقتضى الأمر ذلك . والذي يهمنا في هذا المجال هو النظرية الاقتصادية التي تقضى بعدم تسويد المال ، وبطرح هذه السيادة والجحود بهذه القداسة اللتين

أسبغناهما على النقود . الإسلام لا يبيع الفائدة بحال من الأحوال ؛ ولذلك لم يكتف بالنهي والزجر ولا بالتشريع والتقنين ، ولكنه أنزل المال من عرشه إلى مستوى باقي السلع ، ففرض عليه ضريبة تنزع عنه حصانته ؛ وتجمل المكتنز مجبراً على الإنفاق ، وجعل هذا المبدأ من الأسس التي تقوم عليها الدولة الإسلامية . والممتنع عن دفع هذه الضريبة يلاقى أقسى الجزاء إذ أنه يحارب عليها ويقتل فيها . ولست أحسب نظاماً دنيوياً وصل إلى هذا الحد في الاهتمام بالاقتصاد والمعاملات المادية .

وخلاصة القول أن الإسلام قد حتم في دستوره الاقتصادي (العمل الصالح) أى العمل المنتج لخير الجماعة ، وشرع تلخير البشرية بحيث يساعد المجموع كل فرد ليزيد من إنتاجه ، وهذا لا يتصور إلا إذا سهل على الفرد أن يجد منصرفاً وسوقاً رائجة لمنتجاته . ولن يتم هذا ما لم يشتر الأفراد بمقدار ما يكسبون . وحيث أن النقد هو واسطة التبادل وأنه إذا أسئ استعماله يفضي إلى وقف عملية الشراء ، وبالتالي وقف عملية الإنتاج فقد ألزم أفراد المجتمع الإسلامي أن يسارعوا في إنفاق أموالهم ، فن لم ينفق فمليه غرمه . أما كيف يطبق هذا في العصر الحديث فهذا ما سنفصله فيما بعد إن شاء الله .

إذا نودی للخیر فكن أول سباق
وإن عودیت فاستمعیم بأداب وأخلاق

إِنَّ لَبَّكَ عَلَيْنَا حَقًّا

بإشراف اللواء الدكتور أحمد الناقه

س ١ : قال لها الطبيب إن قلب طفلها عرضة للإصابة بالروماتزم إذا لم تستأصل اللوز، ولكن صديقتها حذرتها سوء عاقبة الجراحة، وذكرت لها بابن الجيران الذي ذهب ضحية الجراحة منذ سنين . الأم حائرة تخشى على قلب طفلها من المرض وعلى حياته من الجراحة .

ج ١ : مع الوسائل الحديثة في البنج والجراحة لا محل إطلاقاً للخوف على حياة الطفل، ومادامت اللوز مريضة تخطرها على القلب شديد واستئصالها واجب عاجل .

س ٢ : يريد خلع أسنانه ولكنه يخشى الزيف .
ج ٢ : لا تخف إذا استعملت حبوب فيتامين «ك» ٢٠ مليجرام ثلاثة أيام قبل الخلع .

س ٣ : ما سبب حب الشباب؟ وما علاجه ؟
ج ٣ : يظهر حب الشباب عادة بين سن ١٣ و ٣٠ سنة، وليس سببه معروفًا، ولكن عوامل شتى قد تعين على ظهوره : ضعف الغدد . جراثيم . نقص فيتامين «أ» وبخاصة مع سوء التغذية وعسر الهضم والإمساك والحياة الراكدة المغلقة . والعلاج : تنظيم الحياة والهضم والغذاء، ومنع الدسم والنشا والسكر، وإزالة يؤر الجراثيم والإمساك، وممارسة الرياضة في الشمس والهواء الطلق، واستعمال فيتامين «أ» بمقادير كبيرة لمدة شهور . وأخيراً استعمال الكبريت غسولاً للجلد الرطب ومرهما للجلد الجاف ومسحوقاً للنساء، وحمض سلسيل ورزرسين للقشر، والزئبق لتطهير الجلد . وقد تفيد الأشعة فوق البنفسجية أحياناً، وأشعة إكس في الحالات المستعصية .

س ٤ : سرطان الثدي ، هل له من علاج غير الجراحة ؟

ج ٤ : الجراحة هي العلاج الناجح في أول المرض . أما إذا امتد إلى العقد اللمفاوية والسكبد والرئة والمظام فلانفع الجراحة ، ولكن قد يمكن إيقاف المرض إلى حين باستئصال المبيضين وغدتى فوق الكليتين ، واستئصال كرتون . وهذا علاج مؤقت لا يشفى .

س ٥ : قيل لها اغسلى المهبل بمحلول حمضى لمنع الحمل فهل ينفع ؟

ج ٥ : لا ينفع وقد يضر .

س ٦ : يسمع وشاً في رأسه ويخشى أن يكون ذلك نذير الجنون ؟

ج ٦ : هذا زعم خاطئ إلا إذا كانت الأصوات ذات معنى : أجراس . أغاني . أحاديث . وليست وشا مستمرا .

س ٧ : جده يشكو نزلة شعبية مزمنة فما علاجها ؟

ج ٧ : الجراثيم تسبب التهاب والبلغم ، ويبيدها بنسيلين وستربتوميسين . وانقباض الشعب يسبب ضيق النفس ، وعلاجه أمينوفلين . ومشورة الطبيب خير .

س ٨ : فتاة تشكو البدانة قيل لها اجعلى اللبن أهم غذائك ، ولكنها شمعت بضعف شديد ولم تطق عليه صبرا .

ج ٨ : كل تغيير مفاجيء في نوع الغذاء قد يضعف . ومن الخير التدرج في الاستعاضة باللبن عن الطعام الدسم والنشوى والسكرى . وقد يفيد الإقلال من ملح الطعام ومن شرب السوائل .

بَابُ الْكِتَابِ : نَفْدًا وَتَعَرِّيفًا

التبشير والاستعمار في البلاد العربية

تأليف : الدكتور مصطفى خالدي رئيس مدرسة التمرّيز الوطنية
في بيروت ، والدكتور عمر فروخ عضو المجمع العلمي
العربي بدمشق .

الناشر : المكتبة العلمية ومطبعها - بيروت عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م
الصفحات : ٢٢٩ ص ك .

الفصول : عشرة ، تسبقها كلمة وتوطئة .

المصادر والمراجع : أورد المؤلفان ثبوتاً بها ، ذكرها في أوله : « مصادر هذا
الكتاب كثيرة جداً يجترئ هنا بذكر نحو مائة مصدر ومرجع ،
ثم بعدد آخر يجده القارئ في ثنايا الحواشي » . والتبث يحوي كتباً
إنجليزية وفرنسية ، ويحوي كتاباً واحداً بالألمانية .

هذا كتاب جديد ، يأتي بمد الكتاب القديم الذي سبق أن نشر فيه الأستاذان
مسعود اليافي وعبد الدين الخطيب سنة ١٣٥٠ هـ ، مسبق أن ترجمه من قبل بالؤيد
سنة ١٣٣٠ هـ نقلاً عن A. Le Chatelier في مقاله La Conquete du Monde
Musulman المنشور بمجلة Le Revue du Monde Musulman . واتخذ المترجمان
له اسماً عربياً هو « الغارة على العالم الإسلامي » .

ومنهج البحث يختلف في أحد الكتابين عن الآخر ؛ فالكتاب القديم ترجمة
مباشرة لقال يعرض أعمال المبشرين البروتستانت ، وذيل الكتاب بتعليقات خفيفة
بمعنوان « نجوى إلى القراء » ، « الجواب على مقالة المجلة الفرنسية » في تسع
صفحات ، وترك الكتاب المقال نفسه دون درس وتحليل لأن نشره وإبرازه مغنيان
عن التعليق ، وينبهان الأذهان لهذا الخطر الكبير ، لكن الكتاب له فضل سبق
بأكثر من أربعين عاماً في هذا الباب عن زميله الآخر .

أما الكتاب الذى تقدمه اليوم إلى القراء فهو دراسة شاملة لكتب كثيرة تناولت سياسة التبشير وأعمال المبشرين ، واختيرت مقتبسات من هذه الكتب ولم تعرض عرضاً مباشراً ، وإنما أوردت في ثنايا الكتاب مشفوعة بالتعليق والتحليل ، فنحن أمام تأليف كامل لا مجرد ترجمة .

والكتاب يتناول غاية التبشير ، ويتناول وسائله .

فيقول عن غاية التبشير ص ٤٠ : « ولأرب في أن الباحث الحقيقى والأول في رأيي القارئ على التبشير إنما هو « القضاء على الأديان غير النصرانية توصلاً إلى استعباد أنبيائها . إن المعركة بين المبشرين وبين الأديان غير النصرانية ليست معركة دين ، بل معركة في سبيل السيطرة السياسية والاقتصادية » .

ثم يقول في الصحيفة نفسها : « ويبدو بوضوح أن أشد الأديان حراساً في إبقاء الاستعباد إنما هو الإسلام ، ولذلك يتمنى المبشرون أن يُنصروا المسلمين كلهم » ! لكن المؤلف يقول في ص ٤١ و ٤٢ : « وبمترف المبشرون بأن التبشير الرسمى واكتساب المسلمين إلى صفوف النصرانية قد خاب . من أجل ذلك قنع هؤلاء المبشرون أن يكون عملهم الإنسانى قاصراً على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل » !! وهذا تحديد دقيق لماية التبشير . .

إن الغرب المادى لا يتصور أى عاقل يقود معركة في باب الدين إلا من أجل المادة التى كفر بكل ما عداها !! وإن التبشير عنده قلم من أقلام شئون المستعمرات . . تماماً كالديعة والجاهلوسية وغيرهما من الشئون الحربية !!

وكنتم أود أن يدور الكتاب كله على إيضاح هذه الغاية في سياسة التبشير وأعمال المبشرين بصورة قوية واضحة ، حتى يبدو التبشير ملحاً بالاستعمار ، وحتى يبدو أن المسلمين في مقاومة التبشير لا يتأذون من منافسة دين ولا يتمصبون ضد أهله ، وإنما هم يحذرون الخطر الكامن وراء هذا الستار الزائف !!

نعم — كنت أرجو أن يرتبط الحديث عن التبشير بالوصل بينه وبين الاستعمار حتى يطابق موضوع الكتاب عنوانه في كل الفصول ، وأن يزيد التفصيل في هذا الفصل بالذات المعنون « بواعث التبشير » فإنه بيت القصيد وعلى أساسه اختير عنوان الكتاب كله !!

لكن الكتاب على كل حال لم يجرمنا إشاراته المختلفة، فهو يقول في ص ١١٧ :
 « لقد كانت تركية على حق حينما بدأت منذ أمد ترتاب في حركات التبشير
 في امبراطوريتها ، ولا غرو فالبشر يسبق الجيش إلى كل مكان » والمباراة الأخيرة
 قوية ، ما كان أجدرها أن تكون شمار البحث في كل مناهج الكتاب ، وأن تدعم
 بالشواهد والوثائق والنصوص .

وهو يعالج هذه القضية بأسلوب أصرح وأوضح في الفصل السابع الذي جعل
 عنوانه « الإدارة الأجنبية في خدمة التبشير » وذلك حيث يقول : (وقف المبشرون
 ورجال السياسة الآن وجها لوجه : أى الفريقين يجب أن يتقدم الآخر ؟؟
 إن المعروف في التاريخ أن المبشر كان يدخل البلاد ثم يأتي الجيش على أثره ، ولكن
 المبشرين منذ القرن التاسع عشر أحبوا أن يتقدم الجيش أولاً ، لأن ذلك يسهل
 مهمتهم . ولذلك كان الحكام الوطنيون في كل بقعة على حق حينما كانوا « يعتقدون
 أن مجيء المبشرين ينتهى دائماً بتدخل الدول النصرانية في بلادهم وبخسارتهم جزءاً
 من استقلالهم » . ولكن هذه الطريق طويلة ، ولذلك كان المبشرون يرغبون في أن
 تتدخل الدولة بقوتها أولاً ثم يأتون هم فيجدون الطريق ممهدة للتصير) ص ١٤٧ .
 ونحن لا يهمننا على كل حال أن يستقر رأى الاستعمار الغربي على أن يرسل المبشر
 أو الجندي أولاً ، إنما يهمننا ارتباط التبشير بالاستعمار وإبراز ذلك في كل فرصة ،
 فإن هذا هو العنوان المختار للكتاب .

والمؤلفان يبرزان هذا الارتباط أيضاً في ص ١٥٩ حيث يقولان : « إن فرنسا
 تستوحى الفاتيكان سياستها الدينية لتثبت بها أقدامها في مستعمراتها . وهذا يقضى
 عليها بأن تعاضد الرهبان والمبشرين في حملتهم على كل بلد مستقل ، وعلى
 المسلمين خصوصاً » .

ومع ذلك فأنا ما زلت أقول : إن هذا المنحى كان جديراً بأن يكون أقوى مما هو
 عليه الآن في ثنايا الكتاب !! .

لقد نقل المؤلفان الفاضلان في صدر كتابهما عن المبشرين أنفسهم ، أن أملهم
 في تنصير المسلمين قد زال ، وأنهم لا يهدفون اليوم إلا إلى زعزعة المسلمين
 عن عقائدهم

والكتاب يقول في ص ٨٦ - ٨٧ « وبما أن غاية المبشرين ليست دينية في الدرجة الأولى ، بل هي إفسادية يحاولون بها أن يفككوا وحدة الأمة الإسلامية ليحكموا شعوبها ، فإنهم قنعوا أن يفسدوا هذه الشعوب ، لأن إفساد الشعوب يصل بالمبشرين إلى غايتهم القصوى ، وهي تمكين الدول الغربية من حكم الدول الإسلامية .. يقول المبشر تكلي « إن كثيراً من المسلمين قد زرع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية . إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس صعباً جداً » .

وينقل الكتاب عن ألدو جلاس من مقاله عن ملاجي الأطفال في الجزائر « إن هذه السبيل لا تجعل الأطفال نصارى ، لكنها لا تبقيهم مسلمين كتاباتهم » ص ١٩٢ .

ويقول الكتاب في ص ١٩٤ « ... ولكن المسلمين رأوا فساد الأخلاق يمشي مع هؤلاء الغربيين خطوة خطوة » وينقل عن Jessup قوله « لقد كان الاحتلال الإفرنسي لعنة في سورية ؛ فقد فتح هؤلاء الإفرنسيون في لبنان ٥٠ حانة وعدداً كبيراً من بيوت الدعارة ، وكذلك تفتش السكر إلى حد لم يكن معروفاً . ثم زال الاحتلال الفرنسي ، ولكن سيئاته لم تزل » ص ١٩٤ . وفي صدر فصل « الأعمال الاجتماعية طريق التبشير » يورد الكتاب ما ملخصه « إن البشر عادة مقسمون حسب أعمالهم ، وقلما يتيح لهم انصرافهم إليها أن يجتمعوا أثناء القيام بها ، فهم يلجأون إلى خلق جو اجتماعي يجمع بينهم في الحفلات الرياضية والخطابية ، وفي الأندية الأدبية والسياسية ، وفي الاتصال فيما بينهم من طريق الصحف والمجلات وأعمال البر والإحسان ، وفي الاجتماعات المختلطة بين الجنسين رجالاً ونساء . والمبشرون يعرفون هذه كلها في بلادهم فأحبوا أن ينقلوها إلى بلادنا نحن ، لاحقاً بنا بل توصلنا إلى اختراق السور الذي ضربه العرف الشرقي حول الأسرة المسلمة ، كي يُفتح لهم باب جديد يلجونه للتبشير بيننا . تلك كانت غايتهم الأولى من النشاط الاجتماعي الذي أحبوا أن يبتوه في بيئتنا بواسطة المدارس الأمريكية خاصة ، ومن طريق الخدمة الاجتماعية بين الفلاحين أيضاً » ص ١٨٨ .

ويضبط الكتاب على اتجاه التبشير إلى ناحية المرأة فيقول في ص ١٩٧ « ويصفق المبشرون باليدى لأن المرأة قد تخطت عتبة دارها ، لقد خرجت إلى الهواء الطلق ، لقد زعت عنها حجابها !! ولكنهم لا يصفقون لأن المرأة المسلمة قد فملت كل ذلك ، بل لأن فعلها هذا يتيح للمبشرين أن يتغلغلوا عن طريق المرأة في الأسرة المسلمة بتعاليمهم التبشيرية . ولهذا السبب خاصة أخذ المبشرون منذ أمد ياتون بالنساء المبشرات ليتصلن بالنساء المسلمات وهم يصيحون : لقد سنحت لنا فرصة جديدة !! »

ومرة أخرى أقول كنت أحب

نعم — كنت أحب أن يبرز الكتاب هذا الجانب السلبي الخطير من التبشير ، هذا الاتجاه الذى يئس من أن يتنصر المسلمون ، قاتجه إلى أن ينسى المسلمون الإسلام . إن محاولة إذابة الشخصية الإسلامية ، وسبها في قوالب غربية ، هى أخطر محاولة وأنجح محاولة في تاريخ التبشير والاستعمار . .

القومية السياسية ، و (الفرنجة) الاجتماعية ، والثقافة الغربية ، كل هذه أفكار تدنينا من الغرب المبشر المستعمر ، وتبعدنا عن الإسلام ، دون أن يكون لها عنوان يزعمنا : عنوان التبشير أو عنوان الاستعمار ! !

ولقد تناول المؤلفان ذلك كله في الفصول الثلاثة الأخيرة وهى : الدعوات الإقليمية ، الأعمال الاجتماعية ، تشويه الثقافة العربية تحت ستار الاستشراق . . ولكنى كنت أرجو لهذا الجانب الخطير إبرازا يتفق مع خطورته ، ومع نجاح الغرب فيه إلى حد بعيد .

والكتاب قد استقصى وسائل التبشير كلها ، وهو يلخصها في قوله الذى ختم به الفصل الأول « ونحن نحب من القارئ أن يتبين أن حب الخير والتعليم والتطبيب وما إليها هى وسائل للتبشير . ثم إن التبشير نفسه ستار للتبشير التجارى والسياسى وأساس متين للاستعمار . ولندكر دائما أن أكثر الفتن الداخلية في الشرق ، من دينية وسياسية واجتماعية ، إنما قام بها المبشرون والذين استأجرهم المبشرون » ص ٥١ .

وهو يبرز في ذلك أمورا خطيرة ، منها ما أورده عن ضرب الحصار المسمى على المسلمين وإبعادهم عن الشواطىء « اقترح المبشرون أن يشلوا حياة المسلمين بإبعادهم

عن الشواطىء ذات الأمطار الوافية وطرق المواصلات الكافية والمراكز الحربية المهمة ، ثم حصرهم في الداخل وفي الصحارى على الأكثر . إن اقتراحات مثل هذه قد أبديت فيما يتعلق بإسكان اللاجئين بعد كارثة فلسطين سنة ١٩٤٨ . إلا أن الفكرة نفسها قديمة ، فقد كتب كاتب اسمه اشعيا بومان في مجلة « العالم الإسلامى » مقالا سنة ١٩٣٠ عن « الجغرافية السياسية للعالم الإسلامى » اقترح فيه أن تتفق بريطانيا وفرنسة ، ما دامت أكثر الدول سيطرة على العالم الإسلامى على سياسة « السيطرة على الشواطىء » حيث يمكن وصول الدوارح وآلات القتال الحديثة بسهولة » ص ١٣٠ - ١٣١ .

وهو يتكلم عن سياسة التفرقة الاستعمارية التى يغذيها المبشرون « كان الدروز مثلا يعتمدون على حماية الفكرة ويفضلون المدارس الأمريكية . أما الموارنة فكانوا يرون حليفهم الطبيعي في فرنسة ويفضلون المدارس الفرنسية ، وكانوا يتلقون السلاح من فرنسة ، وكان الدروز يتلقون السلاح من إنكلترة » ص ١٣٧ .

ويتناول تقسيم لبنان فيقول « لقد اقترح مترنج أن يقسم جبل لبنان فأعقامتين إحداهما إسلامية والثانية مسيحية ، فاضطرت الدولة العثمانية إلى قبول هذا الاقتراح . وهما هي أوربة بعد قرن واحد تعود إلى السياسة نفسها في شأن فلسطين . . هكذا عرفنا كيف استيقظ جبل لبنان إلى النمرة الطائفية » ويعرض للفن التى قامت نتيجة هذا التقسيم منذ سنة ١٨٤٠ ، وآخرها فتنة سنة ١٨٦٠ التى يعلق عليها أخيراً بعد أن يورد تعليقات المبشرين « ولكن ماذا يهمنا الآن من حمل التهمة على الموارنة أو على الدروز ؟ إن هذه الفتنة الدينية كانت نعمة على لبنان ، ولكنها حققت للدول الأجنبية هدفا عظيما . قد لا يكون لهذه الفتنة صلة بالدين ، ولكن كان لها بلازيب صلة بالسياسة (لقد انعقد في بيروت مؤتمر دولى حضره المفوض السلطانى مع خمسة من وكلاء الدول ومفوضيهم ، أعنى إنكلترة وفرنسة والروسية والنمسة وبروسية ، وقرروا أن تكون إدارة الجبل بواسطة متصرف مسيحي من طرف الدولة العلية وبرضا الدول) . . « هذا المتصرف يجب أن يكون نصرانيا أوروبيا ومن أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، لا وطنيا سوريا مسلما كان أو مسيحيا » ص ١٤٥ .

والكتاب يربط إلى عجلة التبشير مؤسسات يجهل الكثير من المسلمين عنها هذا الارتباط فيقول :

(جاء في مقررات مؤتمر المبشرين الذي انعقد في القدس ما يلي « نحب أن نؤكد الأهمية البالغة للعمل بين الصغار والعمارة قبل أن تتشكل عقليتهم وأخلاقهم تشكلاً إسلامياً . إن جميع الوسائط التي استخدمت وظهر نجاحها يمكن أن تستخدم من جديد لتوقظ عقول الصغار وتجعل أخلاقهم ، سواء في ذلك ما تلقى بالدراسة أو ما كان خارجاً عن نطاق المدرسة ؛ فمن ذلك : الكشفية للفتيان والفتيات — مدارس الأحد — جمعية الشبان المسيحية وجمعية الشابات المسيحيات وسواها من منظمات الشباب — المخيمات والمؤتمرات للطلاب الأندية والرياضة وما يتصل بذلك — بيوت الطلبة التي زادت الحاجة إليها لزيادة عدد الطلاب — بيوت للأطفال يشرف عليها مبشرون فقط » .

وهكذا يمضي الكتاب في كشف اللثام عن وسائل التبشير تتخذ أسماء بريئة لتخدع المسلمين !!

وبعد : فلقد صدق المؤلفان الفاضلان حين قالا « لقد حرصنا نحن على أن تثبت هذه النظم الكبرى بشواهد من كتب المبشرين أنفسهم . إننا لم نلجأ إلى خيالنا ولا إلى قوة أسلوبنا وبراعة تعبيرنا ، بل رجعنا إلى ما كتبه الأجانب تلميحاً أو تصريحاً ، ولقد فضلنا في الاستشهاد التصريح على التلميح » . ص ٧ ، وهي خطة مثلى ، تصدقها كل صفحات الكتاب ، التي تشهد بالجهد الصادق والمنهج العلمي الصحيح .

لقد قال المؤلفان في كلمتهما الأولى « لم يحاول أحد بعد وضع مثل هذا الكتاب في اللغة العربية . ولقد رأينا نحن أن واجبنا الديني والقومي والوطني يدعونا إلى أداء هذا الواجب وحمل هذه الرسالة على بملأها عن مباحث اختصاصنا وعلى طول الوقت الذي تتطلبه ، إلا أننا أدر كننا أن السكوت عن هذا الخطر أشد ضرراً على قومنا من إهمال موضوعات اختصاصنا » :

وأشهد أن المؤلفين قد أديا الواجب وحملوا الرسالة في صدق ووفاء .

مع العارفين

مكحول

[العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، وعامر الشعبي بالكوفة ،
والحسن بن أبي الحسن بالبصرة ، ومكحول بالشام] .
« الزهري »

كان مجلساً طريفاً في أمسية من أماسي الربيع في دمشق ، وكان في المجلس
نسيم بن عطية المنسي وإسماعيل بن عباس وعبد الرحمن بن يزيد ، وتنقلوا بين طرائف
من العلم وأخبار الرجال أضفت على مجلسهم روحاً رقيقة ومزيجاً من الجد والدعابة ،
وبيناهم في ذلك إذ بخالد بن جبلة يقول : « إن بركة العلم في صدق العالم وطالب العلم ،
وأعجب ما يعجبني في العالم ورعه في علمه ، وقوله لا أدري حين لا يدري »
وكان خالداً بهذه الكلمات قد أضاء مصباحاً في مجلس القوم ، فإن كلمة الصدق
ما لبثت أن شغلتهم عن دعاياتهم ولفتتهم إلى أنفسهم لفظة بديعة ، وكلمة الصدق —
ككل كلمة من كلمات الحق وانخير — يسهل ترديدها وتسهل الففلة عنها ،
إلا أن تخرج صادقة من فم قائلها ، فإنها حينئذ تصدر عامرة بحقيقتها ؛ « والحقائق قوى
قائمة لا يتخلف أثرها ، وإنما يتخلف الناس عنها حين يكذبون عليها ، وكذبهم
حينئذ « حقيقة » أخرى لها أثرها اللازم الذي لا يتخلف لا يمنع ذلك أن
تزخرف مسوح الكذب ويتناول بنيانه ، بل إن ذلك أحياناً من سنن الله مع
الكاذبين » سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم إن كيدى متين » ، حتى
إذا بلغت الموجة المزيدة الشاطئ الرابض لها — مهما استملت — تكسرت
عليه « بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » وربما دهمها وهي
في عنفوانها إعصار قبل أن تبلغ الشاطئ « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم
أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون . ففُطِعَ
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » — إن أمثال هذه الآيات
في القرآن لا يجوز أن يسمعها المؤمن كما يسمع سائر الكلام ؛ لأن الذي قالها هو

الذى خلق الكون بكل ما فيه من قوى وجوهر وعرض ، وهو الذى خلق نواميسه جميعاً ؛ فهو حين يتكلم يتكلم كلام الذى يخلق والذى يحى والذى يميت ، وقد كان حسب الناس أن يسموا مثل قوله « وهو القاهر فوق عباده » لتقشعر جلودهم وليسارعوا إلى تعرف ما يريد . وهو إنما أنزل الكتب وبث الرسل ليعلمن إرادته ، وليبين للناس أحكامه ، وهى إرادة لا تنازع ، وأحكام لا تتخلف

هذه استطرادة نعود بعدها إلى ما كان القوم فيه ، فإن كلمة خالد حركت نفوساً وأهاجت أشجاناً ، ورفع تيمم العنسى رأسه وفى عينيه دموعتان ساخنتان وقال : « رحم الله مكحولاً الشاى . . . ما أكثر ما كنت أسمعته يقول : نادانم^(١) ! » .

فقال رجل فى طرف المجلس : ذكرت عزيزاً يا تميم . . . أولئك يا أخى العلماء ، لقد حدثنا عن مكحول أنه كان من أعبد الناس ، وأنه لم يفته صوم الإثنين والخميس حتى لقي ربه رحمه الله . . . » .

فقال آخر : أليس هو الذى قال : « من أحب رجلاً صالحاً فإنما أحب الله ، ومن ذهب إلى علم يتعلمه فهو فى طريق الجنة حتى يرجع » .

— بلى ، روى ذلك عنه ثوبان .

— ألا تحدثنا يا عبد الرحمن بن يزيد عن مكحول فإنك قد حضرته وسمعته .

— إى والله حضرته وسمعته ، ولقد كان يخشى على الناس علماء السوء بقدر

ما كان يحب العلم ويحض عليه . . . كان يقول : « لا يأتى على الناس ما يوعدون حتى يكون عالمهم فيهم أنثى من جيفة حمار » .

— لله دره ! حدث أبو عبد الرحمن الدمشقى أنه سمعه يقول : بينا سليمان بن داود على بساط من شعر وأصحابه حوله إذ أمر الريح فاستقلته وسارت الجن والإنس أمامه والطير تظله ، إذا حراث يحراث على جانب الطريق ، فقال الحراث : لو أن سليمان بن داود عندى كلمته بثلاث كلمات ، فأوحى الله تعالى إلى سليمان بن داود

(١) نادانم : كلمة فارسية معناها : لا أدري .

أن أنت الحراث .. فركب على فرسي له حتى أتاه . قال يا حراث : أنا سليمان قتل ما أردت أن تقول . قال وما علمك أني أردت أن أقول ؟ قال الله أعلمني . قال أشهد له بذلك . قال والله إلا أني رأيتك فيما أنت فيه فقلت والله ما سليمان في لذة . لذهها أمس ولا في نعيم نعمه وأنا في تعب تعبته أمس وفي نصب نصبته إلا سواء ؛ لا سليمان يجد لذة ما مضى ولا أنا أجد تعب ما مضى . قال وأخرى قتلها — قال : وما هي ؟ قلت : سليمان يموت وأنا أموت — قال : صدقت ! — قال ولكني يا سليمان قتل كلمة طيبت بها نفسي : قلت سليمان يسأل غداً عما أعطى وأنا أسأل . قال : نغر سليمان ساجداً يبكي وهو يقول : يا رب لولا أنك جواد لا تبخل لسألتك أن تزرع مني ما أعطيتني ، قال فأوحى الله تعالى إليه : يا سليمان ارفع رأسك فإنني لم أنعم على عبد لي نعمة فتكون تلك النعمة رضاء فأحاسبه عليها .

— وكان رحمه الله ذا بصيرة مع كتاب الله تكشف له أسرارہ وكنوزہ ، وكان يقول : اقرأ القرآن ما نهاك ، فإذا لم ينهك فليست تقرأه . وروى عنه الملاء بن الحارث قوله « أربع من كن فيه كن له ، وثلاث من كن فيه كن عليه ؛ فأما الأربع اللاتي له : فالشكر ، والإيمان ، والدعاء ، والاستغفار . قال الله تعالى : « ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم » وقال : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » وقال : « ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم » وأما الثلاث اللاتي عليه : فالمكر ، والبغى ، والنكث . قال تعالى : « ومن نكث فإنما ينكث على نفسه » وقال : « ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله » وقال : « إنما بغيكم على أنفسكم » .

-- وروى عنه النعمان بن المنذر في قوله تعالى « ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً » قال : وضع عنهم الإثم في الخطأ ووضع المغفرة على العمد .

— وكان تلى علمه وفضله رحمه الله جميل الصورة حلو الهيئة ، وكان يقول : « من طابت ريمه زاد في عقله ، ومن نظف ثوبه قل همه » ولعمري إنها لكلمات بصير .

— وكان كذلك شجاعاً لا يخاف في الله لومة لائم : حَدَّثَنَا أَنْ يُزِيدَ بْنَ عَبْدِ
الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ ، فَأَرَاهُمْ مَكْحُولِينَ يَهْمُونَ بِالتَّوَسُّعِ لَهُ
فَقَالَ : مَكَانَكُمْ دَعُوهُ يَجْلِسُ حَيْثُ أَدْرَكَ يَتَعَلَّمُ التَّوَاضُّعَ .

— وكان حكماً لبيباً ، يروى عنه النعمان بن المنذر « لَا تَعَاهِدُوا السُّفِيهَ وَلَا
الْمُنَافِقَ فَمَا نَقَضُوا مِنْ عَهْدِ اللَّهِ أَكْبَرَ مِنْ عَهْدِكُمْ » .

— وَأَسْنَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَوَائِقِ بْنِ الْأَسْقَعِ وَأَبِي الْأَمَامَةِ
الْبَاهِلِيِّ وَأَبِي هِنْدٍ الدَّارِيِّ وَحَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَشَدَادَ
بْنَ مُوسَى وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَلَهُ أَحَادِيثُ غَرِيبَةٌ تَفْرُدُ بِهَا رَحِمَهُ اللَّهُ — رَوَى عَنْ وَائِقِ
ابْنِ الْأَسْقَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « يَبْعَثُ اللَّهُ عَبْدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
لَا ذَنْبَ لَهُ ، فيَقُولُ اللَّهُ : يَا أَيُّ الْأَمْرِينِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أُجْزِيكَ ، بِعَمَلِكَ أَوْ بِنِعْمَتِي
عِنْدَكَ ؟ قَالَ يَا رَبِّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَعْصِكَ . قَالَ خُذُوا عَبْدِي بِنِعْمَةٍ مِنْ نِعْمِي —
فَمَا تَبَقِيَ لَهُ حَسَنَةٌ إِلَّا اسْتَغْفَرْتُهَا تِلْكَ النِّعْمَةُ . فيَقُولُ رَبِّ بِنِعْمَتِكَ وَرَحْمَتِكَ . فيَقُولُ
بِنِعْمَتِي وَرَحْمَتِي . وَيُؤْتِي بِعَبْدٍ عَمَسَنَ فِي نَفْسِهِ لَا يَرَى أَنَّ لَهُ ذَنْبًا . فيَقُولُ لَهُ هَلْ
كَنتَ تَوَالِي أَوْلِيَائِي ؟ قَالَ كُنتَ مِنَ النَّاسِ سَلَمًا . قَالَ فَهَلْ كُنتَ تَعَادِي أَعْدَائِي ؟
قَالَ يَا رَبِّ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ شَيْءٌ . فيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : لَا يَنْتَالُ رَحْمَتِي
مَنْ لَمْ يُوَالِ أَوْلِيَائِي وَبَعَادَ أَعْدَائِي .

— وَرَوَى عَنْ أَبِي ثَمَلَةَ الْخَشَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« إِنْ أَحْبَبْتُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبْتُمْ مِنِّي أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنْ أَبْغَضْتُمْ مِنِّي مَسَاوِيئَكُمْ أَخْلَاقًا
الْثَرَّارُونَ الْمُتَفَهِّقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ » .

— وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ : « حِجَّةٌ قَبْلَ غَزْوَةِ
أَفْضَلُ مِنْ خَمْسِينَ غَزْوَةً ، وَغَزْوَةٌ بِمَدِّ حِجَّةٍ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسِينَ حِجَّةً ، وَلَوْ قَفَّ سَاعَةً
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسِينَ حِجَّةً » .

— وَرَوَى عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ « بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْدِثُنَا عَلَى
بَابِ الْحِجْرَاتِ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ هُوَ مَدْرَهٌ قَوْمُهُ وَسَيِّدُهُمْ مَعَ شَيْخٍ كَبِيرٍ

يتوكأ على عصاً ، فثقل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبه إلى جده فقال : يا ابن عبد المطب أخبرني ماذا يزيد في العلم ؟ قال : التعلم — قال : فما يزيد في الشر ؟ قال : التبادي . فقال : هل ينفع البر بعد الفجور ؟ قال : نعم ! التوبة تغسل الحوبة والحسنات يذهبن السيئات ، وإذا ذكر العبد ربه في الرخاء أجابه عند البلاء . قال : يا ابن عبد المطب وكيف ذلك ؟ قال : لأن الله عز وجل يقول : وعزتي وجلالي لا أجمع أبداً لعبدي أمين ولا أجمع عليه أبداً خوفين . إن هو آمنني في الدنيا خافني يوم أجمع عبادي لميقات يوم معلوم فيدوم له خوفه . وإن هو خافني في الدنيا آمنني يوم أجمع عبادي في حظيرة القدس فيدوم له أمنه ولا أخمته فيمن أحمق .

— وروى عن أبي أيوب الأنصاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « كل صلاة تحط ما بين يديها من الخطيئة » .

— وروى عن شرحبيل بن السمط قال : مر بي سلمان فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأمن النفاق وجرى عليه رزقه » .

— رحمه الله رحمة واسعة ، لقد أجزل الله له الفضل ولا أحسبه إلا أجزل له الأجر والثوبة — حدثت أن عبد ربه بن صالح دخل على مكحول في مرضه الذي مات فيه فقال له : « أحسن الله عافيتك أبا عبد الله ؟ فقال : الإلحاق بمن يرجى عفوه خير من البقاء مع من لا يؤمن شره . . »

رضى الله عن مكحول وأرضاه .

لبنان

١ - جغرافيته : يشكل لبنان الجزء الشمالى الغربى مما يسمى بمنطقة الهلال الخصيب ، ويقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط . تجاوره من الشمال والشرق الجمهورية السورية ، ومن الجنوب فلسطين المحتلة ، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط . معظم أرضه جبال عالية تغطيها الثلوج معظم أيام السنة ، وتكثر فيها الأحراش



الكثيفة . وبه سهل ساحلى ضيق يمتد من الشمال إلى الجنوب على طول الساحل ، تزرع فيه الفواكه والمواالح والوز والخضروات . وبه سهل آخر داخلى خصب جداً يسمى سهل البقاع ، تسقيه ينابيع كثيرة بالإضافة إلى مياه الأمطار ، ويخترقه نهر الليطاني الكبير الذى يستفاد منه فى الرى بشكل جزئى جداً ، وتزرع فى سهل البقاع الحبوب وفواكه المناطق الباردة والخضروات والزيتون .

٢ - الحالة الاقتصادية : أهم مورد للمعيشة فى لبنان هو موسم الاصطياف ؛ فإن الله تعالى قد وهب جبال لبنان وسهوله جملاً طبيعياً فى غاية الروعة مما جملة مراكز عالمياً للاصطياف . وللحكومة اللبنانية جهود فى تحسين المصايف وتشجيع الاصطياف ، ولكن جهودها محدودة . وهو مصيف الشرق الأوسط جميعه . ويمتاز أهل لبنان بلطف المعاشرة ودماثة الخلق والمناياة الفائقة بالمصطافين .

ثم تأتى زراعة الفواكه والخضروات وهى تكثر جداً فى جميع بقاع لبنان ، وأرض لبنان خصبة ولكنها قليلة ، فأتت ترى أن لبنان يستورد الحبوب على نطاق واسع ويصدر الفواكه بكميات كبيرة ، ويصدر الزيت والزيتون . ولتكثر زراعة العاكمة نشأت صناعات زراعية كثيرة كتجفيف الفواكه وحفظها ، وعصر الفواكه وتكثيف العصير فى أوانى بشكل متقن وشحنها للخارج ، ونشأت صناعة الصابون ، وعصر الزيتون من الزيتون وغيره من الفواكه .

أما المورد الثالث - وهو مورد حديث لم يستغل بحد - فهو البترول الذي اكتشف بناييمه حديثاً في سهل البقاع في منطقة قريتي صُحْمُرُ وَيُحْمُرُ ؛ وينتظر أن يكون له أثر في تحسين الحالة الاقتصادية في البلاد .

٣ - الحالة الاجتماعية : يزيد عدد سكان لبنان عن ١,١٠٠,٠٠٠ نسمة يشكلون مجموعات مختلفة من الطوائف الدينية التي تكثر في لبنان . وقد وضع المستعمرون الطوائف وقسم فيه المسلمين إلى ثلاث طوائف ؛ كل طائفة تفصل عن الأخرى انفصلاً كلياً ، وهذه الطوائف هي : الطائفة السنية ، والطائفة الشيعية ، والطائفة الدرزية . وقد تمكن المستعمرون أن يُلقي في نفوس أفراد كل طائفة أنهم فعلاً منفصلون عن غيرهم من الطوائف الإسلامية . والغاية التي هدف إليها المستعمرون من وراء هذا التقسيم هي أن يجعل الطائفة النصرانية صاحبة الأثرية فتكون لها أكثر مرافق الدولة بالإضافة إلى رئاسة الجمهورية والأثرية النيابية والبلدية وغيرها . ولو أمكن جمع طوائف المسلمين الثلاث في كتلة واحدة لصار مجموعها أكثر من ٦٠٪ من سكان البلاد ، ولكان لها السيطرة التامة على شئون البلد . وبهذا التقسيم الطائفي تسلط الطائفة المارونية على جميع لبنان وتصرفت في أقداره وشئونه ؛ ومن هنا نرى لبنان يشد عن سياسة البلاد العربية الإسلامية في كثير من المواقف .

وأثر اختلاف الطوائف يظهر واضحاً في السياسة الداخلية في لبنان . ونستطيع أن نقول إنه يشبه إلى حد بعيد ما كان متبعاً مع العرب واليهود في فلسطين ؛ فأتى ترى مثلاً القسم النصراني في لبنان يتمتع بجميع المرافق العامة من مدارس ومستشفيات وطرق مواصلات وكهرباء وتليفونات وغير ذلك . بينما تجد المناطق الإسلامية تحتاج إلى مستشفى ، وطرق المواصلات معدومة بين القرى والمدن وإن وجدت فهي غير مهيأة ، ولا كهرباء ولا مدارس ولا تليفونات إلا في المراكز . وقد انتهجت الحكومة سياسة زراعية غريبة فبينما ترى الآفات الزراعية تقضي على المزارع في المناطق الإسلامية دون أي التفات من الحكومة ترى وزارة الزراعة تحشد كل إمكاناتها لمكافحة الآفات في المناطق النصرانية .

هذه الفوارق الاجتماعية الداخلية جعلت المسلمين في حالة سيئة ، وأدت بهم إلى الهجرة من بلادهم إلى أمريكا أو أفريقيا أو استراليا وبالهجرة يقل عدد المسلمين

وتتمطل الأرض ويضطّر أهلها إلى بيعها بثمن بخس. ولمن ؟ للنصارى فقط وهكذا ... وعلى هذه السياسة تؤول البلاد إن عاجلاً أو آجلاً إلى بقعة مسيحية فيها جالية إسلامية فقط بعد أن كانت الأكثرية فيها إسلامية . إن هذا الوضع يذكّرنا بمادة في دستور الانتداب على فلسطين تقول : يجب وضع البلاد الفلسطينية في ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية تساعد على إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . فإذا نظرنا إلى الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تسود لبنان رأينا أنها تسير ما في صك الانتداب ، بفارق هو أنه بدلاً من أن يكون ذلك في فلسطين كان في لبنان ، وبدلاً من أن يكون لليهود كان للمسيحيين : أى وضع لبنان في ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية تساعد على إنشاء الوطن القومي المسيحي في لبنان . وبؤيد هذا ما صرح به المطران مبارك الماروني أثناء الحرب الفلسطينية الأخيرة . حيث قال : إني أؤمل أن أرى قريباً وطناً قومياً لليهود في فلسطين ، ووطناً قومياً للمسيحيين في لبنان . وغير ذلك من التصريحات الكثيرة المؤيدة لذلك .

ونقد كثرت الهجرة بين المسلمين من لبنان ومن منطقة البقاع بشكل خاص . حتى أصبحت ترى قرى بأكلها ليس فيها إلا الكهول والمجانز ، أما باقى أهلها فقد رحلوا عنها إلى المهجر .

٤ — الحالة السياسية : لبنان جمهورية نيابية . وفي عهد العثمانيين كان ينقسم إلى ولاية بيروت ومركزها بيروت ويحكمها وال تعينه الحكومة العثمانية . وولاية جبل لبنان ومركزها المملّقة — قرب مدينة زحلة — ويحكمها وال أيضاً . وكان هذان القسمان يسميان لبنان الصغير . وبعد الفتح الفرنسي جاء الجنرال « غورو » القائد الفرنسي المحتل ، واقتطع من سوريا أربع محافظات — مديريات — وضمها إلى لبنان . وهذه المحافظات هي : طرابلس الشام ، والبقاع ، وصيدا ، وصور . وصار لبنان ، بمدّها يسمى لبنان الكبير ، وألغيت ولاية بيروت وولاية جبل لبنان وصارت عاصمة الجميع بيروت . ولا زالت بعض هذه المحافظات لا تعترف بالضم وتطالب بالرجوع إلى سوريا . استقل لبنان عام ١٩٤٣ بعد اضطرابات أدت إلى خروج الجيش البريطاني والجيش الفرنسي باتفاق بينهما ؛ ولكن النفوذ الفرنسي لا زال كبيراً جداً بسبب حب الطوائف النصرانية لفرنسا حتى إنهم تعارفوا على تسمية فرنسا (الأم الحنون) .

وللإنجليز نفوذهم أيضاً . وقد دخل النفوذ الأمريكي مؤخراً ونظم له أتباعاً ومناصرين وأصبح ينافس الإنجليز والفرنسيين لأنه (نفوذ غني) .

وفي لبنان جاليات أجنبية كثيرة جداً ، وفيه تيارات سياسية كثيرة جداً أيضاً ، وفيه مراكز خطيرة للجاسوسية العالمية ، أخطرها على الترتيب : التجسس الفرنسي - التجسس الصهيوني - التجسس الإنجليزي - التجسس الأمريكي - التجسس الروسي . وهناك مراكز جاسوسية لدول أخرى إلا أنها ليست في خطورة هذه المراكز . ويدير حركات التجسس السفارات والمفوضيات . ومن أشهر مراكز التجسس في لبنان : الجامعة الأمريكية والجامعة اليسوعية ، ثم الفنادق الأجنبية الكبيرة . وقد تعجب إذا علمت أن كل سفارة أو مفوضية تحشد عشرات الموظفين ولا عمل لهم إلا التجسس . وإذا سألت عن أعمالهم في السفارات قالوا لك إنهم : ملحقون صحفيون أو ثقافيون أو تجاريون أو غير ذلك من الأسماء المزورة طبعاً .

٥ - الحالة الثقافية : نسبة التعليم في لبنان عالية جداً وخصوصاً في المدن والمصايف ، وهي صاحبة أعلى نسبة بين الدول العربية . وليس في لبنان جامعة حكومية ؛ إنما فيها كليات تبشيرية تشتهر منها : الجامعة الأمريكية ، والجامعة اليسوعية ، وكلية الحكمة . ومدارس للفرنندز والفرير . والتعليم الديني ممنوع في المدارس الحكومية اللبنانية . وقد قام المسلمون أخيراً بإنشاء مدرسة اسمها : مدرسة المقاصد الإسلامية ، تعنى بتدريس الدين والتاريخ العربي الإسلامي بالإضافة إلى العلوم الحديثة ، وقد كثرت فروعها في المناطق الإسلامية .

٦ - المنظمات والأحزاب : في لبنان أحزاب وهيئات كثيرة بعضها قوى وبعضها ضئيف . وتشتهر من هذه المنظمات : جماعة عباد الرحمن ؛ وهي جماعة أنشئت منذ عدة سنوات ومركزها في بيروت وتدعو إلى الرجوع للإسلام الصحيح بكل أسسه وتعاليمه ، فهي تتفق ودعوة الإخوان المسلمين في جميع آرائها وبرامجها ؛ حتى إنك لتقرأ نشرة أو رسالة من مطبوعات جماعة عباد الرحمن فتخرج منها وأنت متيقن أنك تقرأ رسالة من رسائل الإخوان المسلمين . وقد قامت هذه الجماعة فالتف حولها المسلمون لأنهم وجدوا أنهم في حاجة لها ، وانضم كثير منهم إليها . وهي الآن في مركز قوى جداً والحمد لله .

ثم هناك منظمة تسمى : الكتائب اللبنانية ؛ وهي منظمة نصرانية صرفة تسمى إلى الاستيلاء على الحكم في لبنان ، ولها منهاج نصراني خطير ، وقد حاولت القيام بانقلاب عام ١٩٤٩ ، ولكنها فشلت بسبب انكشاف الخطة قبل وقت التنفيذ . وعند هذه المنظمة أسلحة كثيرة ولها نشاط سرى وأعضاء كثيرون في مختلف المناطق النصرانية .

وفي لبنان حزب شيوعي متوسط القوة ، ويقوم بحوادث شغب كثيرة ، ويستغل كل حادث في لبنان ليحدث اضطرابات في البلاد .

ويجدر بنا أن نذكر أنه كان في بيروت فرع لجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٦ إلا أنه كان ضعيفاً ، وقد صدر قرار بحله عام ١٩٤٨ عند ما قامت الحكومة اللبنانية بحل جميع المنظمات في لبنان بسبب أحداث سياسية داخلية ، وبسبب وقوع مصادمات بين الحزب السوري القومي وبين منظمة الكتائب اللبنانية .

ومن بين هذه الأحزاب التي كان لها خطرها في لبنان وسوريا الحزب السوري القومي الذي كان يرأسه أنطون سماده ، وله مبادئ غريبة تقول إن سوريا فينيقية وليست عربية ولا إسلامية ، ويعني بسوريا أرض لبنان وسوريا والأردن وفلسطين ، ويريد أن يعود بها إلى سوريته أي فينيقيتها . وقد ضعف نشاطه بعد إعدام زعيمه في لبنان .

وبعد ، فإن لبنان بلد عربي إسلامي يحتل مركزاً جغرافياً ممتازاً على البحر المتوسط ، ومركزاً سياسياً مهماً في منطقة الشرق الأوسط يتعرض لتيارات سياسية واجتماعية واقتصادية خطيرة ، رسمها الأعداء ياتقان ودقة ، وقاموا بتنفيذها من زمن بعيد ، غايتها الأولى والأخيرة إضعاف الثقل الإسلامي في لبنان ، وعزله عن الدول العربية والإسلامية ليؤولوا به إلى المصير الذي آلت إليه فلسطين ، وقد لا يمضي وقت طويل حتى نرى نكبة إسلامية في لبنان تشبه نكبتنا في فلسطين . وعلينا أن نتنبه قبل فوات الأوان لما يجري في هذا البلد الشقيق لتعمل على إنقاذه مما هو فيه بإذن الله وتأييده . والله المستعان وهو ولي التوفيق .

في أفق العمل الإسلامي

* خمس حقائق في قضية المغرب

* الصراع الذرى

خمس حقائق في قضية المغرب :

عادت تونس تحتل الصفحات الأولى من الصحف بمناسبة المصادف الأخيرة التي قام بها الوطنيون التونسيون ، والتي تدل على أن المغرب العربي المسلم رغم طول احتلاله ما زال ينبض بالحياة ويختلج بالهزة والإيمان ... والمغرب هو الجناح الأيسر للنفس الإسلامي العظيم ، وقد تكاثفت قوى الاستعمار والتبشير وتآلفت على انتزاعه قطعة قطعة ، وسارت في تنفيذ مؤامرة مرسومة لقطع كل صلة لهذا المغرب المسلم ببقية الجسد المسلم ، وتحويله عن دينه وعقيدته الإسلامية ، واستبدال لسان أعجمي فرنسي بلسانه العربي المبين .
ويعتينا في هذه السطور أن نذكر أمام قراء المسلمين ، عدة حقائق لصيقة بقضية المغرب العربي :

١ - الحقيقة الأولى : أننا نؤمن إيماناً واعياً بأن قضايا العالم الإسلامي المغلوب على أمره ضد قوى الاستعمار والاستنزاف الغربي لاتجدي في حلها المؤتمرات أو المنظمات الدولية أو المساعي الدبلوماسية ، وإنما هناك طريق واحد مستقيم واضح ولو أنه مليء بالصخور والأشواك : هو طريق السكفاح المسلح وإرخاس النفس والمال ، فلا بد ليخرج المستعمر من أي بلد من أن تقنعه لغة الأرقام التي لا تكذب بأن استثماره صفقة خاسرة ، وأرباحه التي يجنيها لاتوازي خسائره التي يتكبدها ... وفي ظل هذا المعنى نرى أن قضايا البلاد الإسلامية « قضايا عملية » ونرى بهذا أنها لابد وأن تحمل داخل الحدود وبين الجدران ، وأن الطلقات الأولى والأخيرة لابد وأن تدوى هناك ... ثم يأتي من بعد هذا كله دور الشعوب والحكومات الإسلامية في إسداء العون المادي والأدبي

ولا يعوزنا الدليل على ما نقول ... فقد عرضت قضايا المغرب عدة مرات على مجلس الأمن والجمعية العمومية لهيئة الأمم ، وكانت المحاولة الأخيرة في أكتوبر من العام الماضي ، وفي كل مرة خذلت القضية - وكان الغريب ألا تتخذل - وهذا طبيعي ما دامت جبهة الاستعمار هي أقوى الجبهات في هذه المنظمات الدولية .

٢ - الحقيقة الثانية : هي أن الخلاف بين أحزاب المغرب خلاف يدور على مسائل خاصة بأشخاص قادة هذه الأحزاب وحزازات واحن تطفو بها سدورهم ، وبها اصطفت الأفسكار والمبادئ ، فقامت أحزاب تمارض أخرى وانتقلت المعركة من جهاد ضد المستعمر إلى مهادنات حزبية بين أبناء المغرب تورطوا فيها بتأثير قادة الأحزاب .
ونحن نذكر ماضى الحركة الوطنية المغربية بالفخر والحسرة .. فقد كانت الحركة الوطنية بزعامة للقادة المخلصين أمثال الثمالي - رحمه الله - تجمع شمل المغاربة جميعاً وتسلك بهم طريق الجهاد السليم ، ولكن سرعان ما انحرفت إلى طرق السياسة والمفاوضات وأنصاف الحلول ،

فتمتعت الحركة الوطنية وتحطمت وحدة الشعب ، وآت الحركة السكفاحية في المغرب إلى هذا المصير المؤلم ، فقدم معظم الزعماء الحزبيين إلى القاهرة مؤثرين السلامة ، حيث طالب لهم العيش في رحاب الجامعة العربية « المضيافة » ، وقنعوا من الجهاد بخطبة رنانة أو برقية احتجاج أو رحلة بطوفون فيها بالعواصم في الشرق والغرب للدعاية لقضية المغرب وجمع التبرعات باسم المغرب ... !!

ولكن لا نلقى القول جزافاً ونأخذ البعض بحريرة الآخرين نسجل في هذا المقام أن ثراً قليلاً من هؤلاء الزعماء مازال يعمل محتسباً مخلصاً دائماً في صمت وعزوف عن الدعاية .

٣ - الحقيقة الثالثة : أن قضية المغرب قضية واحدة وليست قضايا ثلاثاً أو أربعاً ، ويجب أن ينسق المغاربة جهودهم ويمدوا العدة للانتفاض مرة واحدة في شتى أنحاء المغرب ، فدوهم واحد والعدوان عليهم واحد وإن تغيرت أسماءه ، ومطلبهم واحد ، وهم جميعاً أمة واحدة يجمعها الدين واللسان والجنس والتاريخ والمصالح والأهداف ، ومن الخطأ البين أن تشتمل الثورة في تونس بينما يخلد الجزائريون والمرابطيون إلى السكينة والهدوء : فيحشد المستعمرون قواهم ويركزونهم في مواطن الثورة فتشتد وطأتهم على الوطنيين ، وسرعان ما تنفذ طاقة الثورة في تونس فإذا بها تندلع في مراكش .. ويتكرر الخطأ مرة ثانية وثالثة وهكذا ... دون أن يستفيد المغاربة منه .

٤ - الحقيقة الرابعة : أن الولايات المتحدة الأمريكية وهي زعيمة جبهة الاستثمار هي شريكة لفرنسا وأسبانيا في استثمارهما المغرب ، فقد فطنت في السهور الأخيرة إلى الأهمية الاستراتيجية لبلاد المغرب فأقامت عدة مطارات ضخمة بمراكش كلفتها أربع مائة مليون من الدولارات ، كما تواصل الشركات الأمريكية أعمال التنقيب عن البترول وغيره من المعادن في أنحاء مختلفة من المغرب ، وقد أصبح جلياً أن الدول الاستثمارية القديمة مثل فرنسا وقد خرجت محطة ومدينة من الحرب الأخيرة لم تعد تقوى على الصمود وحدها في وجه حركات التحرير الوطنية التي انتشرت عدواها في البلاد المستعمرة أو نصف المستعمرة ، ولكن الولايات المتحدة زعيمة العالم الحر ، تضغط على هذه الدول مستفلة تفوقها الاقتصادي عليها وحاجتها إليها ، لكي لا تفك قبضتها عن الشعوب المستعمرة ، وتنفق عليها ألوف الملايين من الدولارات وأطنان المعدات الحربية لتواجه الشعوب التواقة للحرية بالحديد والنار والمثل الواضح هو الهند الصينية ، وقد فصلنا القول فيه في عدد سابق .

وهذا هو السر في أن المندوب الأمريكي في اللجنة السياسية التابعة للأمم المتحدة قد أعلن عند مناقشة المسألة المراكشية في العام الماضي أن حكومته لا ترى أن هذه المسألة تهدد الأمن والسلم العالميين .

فأى الوطنيين المغاربة نوجه القول : حذار من أميركا .. فإنها أس البلاء !

٥ - أما الحقيقة الخامسة : فنوجه إليها الحكومات والشعوب العربية والإسلامية ..

فنقول إن قضية المغرب لم تنل بعد شيئا من الاهتمام اللائق بها من الحكام والشعوب وهم في عدم اهتمامهم هذا متفاوتون .. ويمكن أن نذكر هؤلاء وأولئك بأن زمن الحدود والفاصل والقوميات والنمرات قد ولى ولن يعود ، وأن العالم قد أصبح اليوم جسداً واحداً ، وأن دول الاستثمار تعمل ضد الشعوب جبهة واحدة وبخطط متسقة ، وأنها تتقارض اللون المسادى والأدبي كلياً تأزمت بإحداها الحال وتمرد عليها شعب يريد التحرر والحياة ... وإذا

كان حال قوى الشر والاستعمار هكذا أفلا يكون أول بالشعوب الإسلامية المستضفة أن تؤلف من أشلائها الميثرة وقواها المتنافرة جسداً واحداً يواجه جرائم التحلل والضمف ويقف أمام عالم الغرب المترس وقفة دفاع عن النفس والدين والمثل ؟ ولم لاتتحد على الحق وقد اتحد أعداؤها على الظلم والفتك والمردوان بها . لقد آن الأوان لأملاق الإسلامى الممددين المحيطين الهادى والأطلسى أن يقف على قدميه ويرفع رأسه . ثم يتقدم ركب البشرية ! بقيت كلمة إلى الجامعة العربية تكتيها لإبراء للذمة وإعذاراً إلى الله وإلى الناس :

إن المجاهدين المغاربة في حاجة إلى سلاح يسدونه إلى صدور المستعمرين ، وإلى دواء يضمّدون به جراح المصابين ، وإلى عون يخلفون به الشهداء والمجاهدين في أسرمم التي يمولونها . . وكل هذا أو بعضه أولى - أو هكذا نظن - من السادة زعماء الأحزاب المغربية ضيوف القاهرة الميامين .

الصراع الذرى

منذ قامت الولايات المتحدة بأول وأبشع تجربة ذرية شهدها العالم الأرضى فضربت هيروشيما ونجاساكي في أغسطس سنة ١٩٤٥ بالقنابل الذرية فقتلت وشوهت وعقمت ألوف الأنفس ودمرت المدينتين تدميراً تاماً ، منذ ذلك التاريخ والمسكران اللذان يتنازعا السيطرة والولاية يجنون في صنع الأسلحة الذرية ثم الهيدروجينية فالإيكروبية ، وهم الآن بصدد صنع قنبلة السكوبات ، ومنذ ذلك التاريخ أيضاً والعالم يعيش على فوهة بركان في رعب هائل من هذه الأسلحة ذات التدمير الشامل ، والتي إن استعملت في حرب عالمية قضت على الحضارة البشرية وأحلت بالإنسان أفضع الكوارث والويلات

لغة الأرقام : ومنطق الأرقام وحده يوضح هذه « الهستيريا » الذرية التي أصيبت بها الدول المتصدرة للزعامة ، فالولايات المتحدة مثلا اعتمدت ملياراً واحداً وستين مليوناً من الدولارات لميزانية لجنة الطاقة الذرية في السنة المالية التي سبقت في يولييه القادم ، واعتمدت كذلك ٣٧٠٠ مليون دولار لتفقات الدفاع المدني ضد الغارات الجوية - الذرية طبعاً - في السنة المالية نفسها ، ولا تبخل أيضاً حكومة واشنطن أن تنفق مئات الملايين من الدولارات في إنشاء سلسلة من القواعد العسكرية - الجوية خصوصاً - في أرجاء العالم « الحر » ، فقد أنفقت ٣٦٠ مليوناً من الدولارات في إقامة مطارين ذريين في جزر أوكيناوا بالمحيط الهادى ، وأنفقت ٣٥٠ مليوناً من الدولارات لتنفق أربعة مطارات ذرية أيضاً في مراكش . وعلى ذكر مراكش فإننا نذكر أن للولايات المتحدة في العالم الإسلامى عدة نقاط للوثوب الذرى ، نذكر منها مطار الظهران بالملكة العربية السعودية ، ومطار الملاحة بليبيا الذي يعد أكبر مطار بمنطقة البحر المتوسط ، والمطارات المنتشرة في تركيا ، فضلاً عما سينشأ في باكستان والعراق بعد إبرامهما الاتفاق المسمى مع أمريكا . . ولا غرابة بعد هذا كله أن تبلغ النفقات العسكرية ما يوازي ٧٤٪ من الميزانية الأمريكية .

نحن ندفع الثمن : ومن الطبيعي أن هذه الألوف من الملايين تبهظ كاهل دافع الضرائب الأمريكى ، وتصيب الاقتصاد الأمريكى كله بأزمة خانقة ، فلا تجد الدولة الأمريكية بداً - لكي تعوض ما تنفقه في أغراض الحرب - من أن تفرض وصايتها المالية على الدول المتخلفة أو التي لم تبلغ في تطورها الاقتصادي مثل ما بلغت الولايات المتحدة ، فتجعل منها أسواقاً تحتكرها تفرمها بالسلم الاستهلاكية كالتصان النايلون الملوثة والأشرطة السينمائية وشراب السكوكا كولا والبيبسى

كولا والثلاجات والسيارات الفاخرة ، دون السلع الإنتاجية كالآلات والمحركات اللازمة لقيام نهضات التصنيع التي هي نقطة التحول وأساس التطور في حياة الشعوب ، إذ لا يرضى الاحتكار الأمريكي أن تنتج هذه البلاد سلعا تنافس السلع الأمريكية وتحرمه من أرباح الاحتكار الطائلة ، ومن هنا يحرص على أن تبقى هذه البلاد المتخلفة زراعية أو رعية كما هي ، فظل أشبه شيء ببقرة حلب ترعى في مصر أو باكستان مثلا وتدر درهما في أمريكا .

الإشعاع الذري: ونحن نعرض هذه الحقائق بمناسبة تجارب تفجير القنبلة الهيدروجينية التي أجرتها الولايات المتحدة منذ مارس الماضي في جزر بيكيني ورغم إخلاء المنطقة المحيطة بمحل التفجير ، إلا أن الزباج حلت الرماد الذري إلى حيث توجد سفينة صيد يابانية على مبعده ١٥٠ كيلومترا فأصيب بحارها - وعددهم إثنان وعشرون - بحروق شديدة وضعت قوائم البصرية إلى حد كبير ، ولم تنتج شحنة الأسماك من الإشعاع الذري . . بل لقد كانت النكبة أوسع مدى ، فقد أصيب صيادو تسع سفن صيد يابانية وحولتها من الأسماك بالإشعاع الذري بينما كانت على مبعده أثنى ميل من مكان الانفجار . . . وأقطن من هذا كله أن جزيرة كيوشو باليابان هطلت عليها أمطار غزيرة ثبت من تحليل الخبراء أنها مشبعة تماما بالإشعاع الذري ، مما أدى إلى أن تناشد الحكومة السكان أن يمتنعوا عن استعمال مياه هذه الأمطار في طعامهم أو شرايبهم ، ولهذا يعيش ملايين اليابانيين في رعب وفزع خشية أن يكون الإشعاع الذري قد لوث مياه بحارهم وما فيها من أسماك هي عماد غذائهم . . . ذلك أن الإشعاع الذري ينتشر بفعل الرياح والسحب في مساحات هائلة مما يهدد الإنسان في كل مكان - حتى في أمريكا نفسها ! - في حياته وطما نبيته .

وإذا كنا قد استمرنا المثال من الولايات المتحدة فإن هذا لا يفي براءة الاتحاد السوفيتي من هذه الجريمة ، وإنما تموزنا المعلومات عن تجاربه التي يجربها في مجاهل سيبيريا وراء الستار الحديدي في منجاة من العيون والأذان ، لولا ما تسجله المراسد من حدوث هذه الانفجارات الذرية .

لقد أسمعت لو ناديت حيا . . ! : واقدا كان من جراء تلك الآثار المفرقة لتجارب التفجير الذرية والهيدروجينية أن تيقظت ضمائر بعض العلماء والساسة فتصايحوا مهيبين بالحكومات حظر استعمالها في الأغراض العدوانية ، فصرح « أينشتين » ! بنخبته إن نجحت القنبلة الهيدروجينية أن يتسم الهواء بالإشعاع الذري ، ويصبح في طوق العلم أن يقضى على جرثومة الحياة في الأرض ، وصرح مستر « مارتن » مستشار الدفاع في حكومة استراليا : لقد بدأت أشعر بالقلق من القنبلة الهيدروجينية . . لقد كان الانفجار أعظم مما توقعناه ، حتى لقد كان العلماء أنفسهم أشد شعورا بالقلق من سوانهم ، وتحدث الفيلسوف البريطاني « برثراند رسل » عما أسماه العصر الذري قائلا : إن القنبلة الهيدروجينية وما قد يعقبها كقنبلة الكوبالت قد أثبتت أنه إذا شئت أن تحيا فدع غيرك يحيا مثلك ، وإلا فال موت نصيبكما معا .

أيها المسلمون ! إن التورط مع أي الممسكين في صراعه ضد الممسك الآخر جريمة مهولة ، وخيانة لله ورسوله والمسلمين ، وإلقاء بأنفسنا إلى التهلكة وتمريض لبلادنا أن تسكون ميدانا لحرب ذرية مبيدة . . ولقد من الله علينا إذ جعلنا أمة لشرقية ولاغربية . . أمة وسطا . . لنكون شهداء على الناس فلنصمم على ألا نخوض حربا ، ولنعلم أن الأحلاف العسكرية والمعونات الفنية إنما هي ربط لنا بعجلة كتلة الاستعمار الغربية لنخوض معها حربا كما فعلنا في الحربين السابقتين دون أن تنال تضحياتنا القادحة ثمنا سوى الققوق والحسف والإذلال .

فاحرصوا إذن على الحياض حرصكم على الحياة . . لأن الحياض هو الحياة !

(b) Makes cleanliness and sanitation next to godliness.

(c) Teaches self restraint and discipline through making worship a part of the day's business, through fasting in the season of Ramadan, and through advocating restraint and moderation in the enjoyment of the good things of the earth.

Islam is, above all, a great Brotherhood of Man, faithful and believing, dedicated to the service of God on earth, striving always to unite Mankind in righteousness, justice and equality before the Throne of the Merciful and Compassionate God.

ACTION

The only object of human life is action. Where the Quran says that *jinn* and man were created to worship God - worship also means action. Every man is, on a small scale, a creator. And to destroy these creative powers in man is a sin. The prophet came into the world to tell the people - this is good and this is bad. Carry on your struggle without the least thought of success or ill-success.

IQBAL.

WHAT ISLAM MEANS TO ME

By Dr. Mustafa Khalidy

*Here is a frank statement
of the practical spiritual mean-
ing of Islam in the modern
world by a busy practicing
physician, in the city of Beirut,
Lebanon.*

ISLAM is a religio-social Institution that leads to the happiness of the individual, the community and the world.

1 — It defines Man's relation to his Creator and satisfies his deepest spiritual yearnings. It teaches the Oneness - the Indivisible Unity of God, and it makes its supplication for forgiveness and grace directly to Him, the Merciful, the Compassionate. A Muslim is he who seeks Divine Guidance, submits to the Will of God, and communes with the Fountain of Mercy by frequent daily prayers.

2 — Islam defines Man's relation to his family by enjoining upon the children a tender love and respect for their parents and responsibilities towards their relatives.

3 — Man's relation to Humanity in general is set forth in Islam by :

- (a) Making righteousness the sole measure of Man's nobility.
- (b) Proclaiming complete equality between all nations and peoples without regard to race or color.
- (c) Teaching the equality of individuals, regardless of class or sex; defining the rights of widows and orphans and providing for their care; emancipating slaves and freeing serfs.
- (d) Enjoining kindliness, hospitality and charity, with particular attention to the poor, the stranger, and the defenseless; ordaining kindness to animals.

4 — Islam is a practical religion which :

- (a) Encourages and protects learning and enlightenment; Islam preserved, developed, and transmitted to the western world the priceless heritage of Greek civilization which had been lost to the West in the Dark Ages.

dynamic, springing perpetually from the heart, shining in the mind and grasping the whole life. Its taste to the believer was fine and sweet. Look at God's own testimony regarding the true believers and see how He compares them with the unbelievers.

أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ
فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا .

"Is he who was dead and We gave life and set for him a light whereby he walketh amongst men, as him whose similitude is in utter darkness from which he can never come out ?

Mark, how belief means life and light dispelling death and darkness. Can we claim, dear brother, that Muslims of today have this life and light ?

The answer certainly is no. Otherwise we would not have found ourselves to be slaves everywhere. Yes, my dear, the nation with life and light can never be a slave, God says :

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ .

"And never would God make your faith of no effect for God is to mankind most surely full of kindness, most merciful."

Not for our slavery and servility alone has this lack of faith been responsible, but in fact it has been the source of all calamities covering the wide earth. Had we kept sincere to the divine message entrusted to our care none of our disasters would have come to afflict us, and history itself would have come to be written differently. For God has said :

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ .

"..... A book which we have revealed unto thee in order that thou mightest lead mankind out of the depths of darkness into light.

(to be continued).

to keep for you any "love" in it. I will leave you, praying for you to see the light of Truth, or then - and not till then - we can be friends, true friends throbbing with the noble sentiments of true hearts, hearts which cannot ignore their Creator and dare not disobey their Lord."

Happiness and Duty

If you succeed, my brother, to think, decide, repent join clean fellows and change bad companions, then you have crossed the very hurdles of life. When your inner world is ruled with high ideals and settled on clear faith, and when your heart knows the joy of true fortitude, you will realize that happiness, which could only be dreamed of by philosophers. Happiness is not a robe that can be bestowed upon from outside. No, it is something that flows out from inside. It is the Inspiration of Reality when it is seen absolutely pure and clear. When you exert yourself to reach the standard where you begin to realize the company of God, you will look on the earth as a very slight creation worthy of being trampled upon under your feet..... You will see God's will manifested in everything. You will see Him inspiring the whole universe with perfect wisdom and endless grace. A gaze to the sky, a look on the earth, a fleeting image within your mind, an incident in your life, all these will remind you of God and among all these you find Him intimately close to yourself. You will have an inner court with a permanent session guarding your soul and verifying your deeds. You will find it a very sweet thing to avoid a sin, even though the pain of avoiding it may itself be acute. You will begin to feel an unimaginable happiness in controlling your temptations. This is the happiness that kindles up your being here, and preserves its glow in the hereafter. This is the happiness that was described by some followers of the Prophet, peace be on him, in these words: "With our belief in God, we are in a state of happiness, which if the kings of the world only knew, verily they would fight us with all their means to secure it". Such a happiness exists nowhere else but in the heart. But where, O, where! are the hearts and the happiness of Muslims. The great majority of the Muslims give no sign of such happiness. Have their hearts ceased to beat?!

The kind of Islam that most of us embrace today does not bear even a show resemblance to the Divine. Islam revealed from Heaven on the wing of (Jibrail). That real Islam was something

WHAT ARE YOU ?

By the Editor

— 7 —

If this is the object of life, then it is due to it, my dear, that we have to determine how to choose our fellows and how to shape our friendship. Our Prophet, peace be on him, was asked once: "What is the person that can be the best friend". He replied: "He who helps you when you remember God, and reminds you when you forget Him." Then he, peace be on him, was asked "And which friend is the worst?" He replied: "He who does not help you when you remember God and does not remind you of God when you forget." Then he was asked: "Who is the best among people?" He replied, "He who when you look at, you remember God". Yes, my dear brother, that is the measure that must guide your friendship and govern your feelings towards all who surround you. And let us not forget, dear brother that there were many pure like angles and innocent like babes before thy contacted some bad friends who latter turned them to evil and surrendered them completely to Hell. Even with myself and yourself, it might have happened that such sort of friendship robbed us of some dear period of our life and made us forget our cherished principles. To leave an old friend is, no doubt, somewhat cruel. But is it not crueller still, in order to keep company with a degenerated friend in this short period of life, to part company with your own soul and allow it to be doomed to eternal perdition in the everlasting life hereafter? Such a friend shall in the life to come be your greatest enemy and your enmity then shall be equal in proportion, if not more in intensity, to your friendship on earth. God says:

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ

"Friends, on that day will be foes one to another, save those who were God fearing."

Invite your friends to be with you on the right path, and that is your duty towards them as a friend. If they refuse then say it to them, "I cannot value you above God. I have been ordered to submit all my heart to Him and thereby it has become impossible

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات العدد الثامن

صفحة

١	لرئيس التحرير	حقائق ثلاث
٧	لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة	الجهاد
١٤	لالأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى	الانحراف من العقيدة
١٩	لالأستاذ عبد الوهاب حموده	في ظلال السنة
٢٤	لالأستاذ محمد المبارك	صفحات من الأدب السياسي
٣١	للإمام الشهيد حسن البنا	طريقان
٣٤	لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا	تغير الأحكام بتغير الأزمان
٤٢		خاطرة : غلام الرياض
٤٣	لسماحة الأستاذ السيد أبي الحسن الندوي	بين الصورة والحقيقة
٥٢	لالأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس	الشرق العربي من حرب عالمية إلى أخرى
٥٨		رسالة مفتوحة إلى جلالة الملك سعود
٦٠	لالأستاذ محمد فتحي محمد عثمان	نحو تطبيق الشريعة
٦٦		بريطانيا واليهود
٧١	لالأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام	سبعات فسكر
٧٤	لالأستاذ محمود أبو السعود	برنامجنا الاقتصادي
٨٠	بإشراف اللواء الدكتور أحمد النافه	إن لبدنك عليك حقاً
٨٢		باب السكتب : نقد وتمريف
٨٩		مع العارفين : مكحول
٩٤		لبنان
٩٩		في أفق العالم الإسلامي

What Are You ? By the Editor 1

What Islam Means To Me By Dr. M. Khalid i 4

الفهرس ١٠٨

مطابع دار الكتاب العربي بمصر